الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مطبوعة بيداغوجية لمقياس

الأدب الجزائري

موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس (ل.م.د)

تخصص: نقد ومناهج.

إعداد الأستاذة:

بوحجر أحلام أميرة

الموسم الجامعي 2021/2020

مقدمة

يلمس الباحث في الأدب الجزائري أنه أدب غير مستقر، نظرا للظروف التي عاشتها الجزائر عبر حقب زمنية، آخرها الحقبة الاستعمارية ثم مرحلة الاستقلال وبعدها ظهور النظام الاشتراكي مرورا الى التعددية الحزبية ثم دخول الجزائر في مرحلة التسعينات أو العشرية السوداء، وأخيرا مرحلة الانفتاح والتعدد الثقافي .

ظل الأدب الجزائري يساير ما حدث من تغيرات وترجمته أعمال الكتاب الجزائريين في شكل نصوص شعرية وأعمال نثرية، متصلة أحيانا بالأدب العربي عامة بأشكاله ونزعاته، وأحيانا أخرى تعكس الأعمال المستحدثة طبيعة الواقع الذي يعيشه الكاتب من ازدواجية اللغة أو التعبير عن الواقع على حساب الجانب الجمالي والفني في العمل الأدبي .

إن تأثير الاستعمار في المجتمع الجزائري، جعل أغلب الكتابات تتمركز على موضوع الحرية ليصبح الأدب خاصا بالمقاومة والثورة، كما أنتجت عمليات التأثير والتأثر ظهور أجناس أدبية منها الرواية، والتخلي عن الشعر في فترة ما بعد الاستقلال .

ترتكز المطبوعة على أهم المحطات التي مر بها الأدب الجزائري وهي عبارة عن محاضرات موجهة لطلاب السنة الثالثة شعبة اللغة و الأدب العربي –نقد ومناهج– وهي في مضامينها قراءات وإضاءات لمجموعة من الأعمال الأدبية الجزائرية، التي تمكن الطالب من التزود بمختلف التجارب في الأدب الجزائري القديم والحديث، وقد تم انتقاؤها نظرا لأهميتها.

منهج المحاضرات : مقياس الأدب الجزائري عبارة عن أعمال إبداعية تنوعت أجناسها بين الشعر ، القصة ، المسرح والرواية وباللغتين العربية والفرنسية، وكتبت في فترات مختلفة من طرف كتاب ومؤلفين يختلفون في فكرهم وتوجهاتهم ومنطلقاتهم، لذلك من الصعب إيجاد الرابط بين هذا الزغم المعرفي والعرض الموسوعي الذي تحمله مؤلفاتهم .

فتم عرض المحاضرات منفصلة دون اعتماد تاريخي أو اعتبار نوع العمل الأدبي، وهذا بالاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي، والتعامل مع كل عمل باتباع عدة خطوات:

1. **التعريف بصاحب الكتاب**
2. **أهمية وقيمة الكتاب / ملخص**

3. أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.
4. أراء نقدية حول الكتاب

2021/2020	مطبوعة بيداغوجية في مقياس الأدب الجزائري

وحدة استكشافية **المعامل : 1/الرصيد : 1**

-محتويات المطبوعة

مقدمة

المحاضرة الأولى: الأدب الجزائري القديم: الحمار الذهبي

المحاضرة الثانية: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد

المحاضرة الثالثة: ديوان الأمير عبد القادر

المحاضرة الرابعة: حكاية العشاق في الحب والاشتياق

المحاضرة الخامسة: إلياذة الجزائر مفدي زكرياء

المحاضرة السادسة: ديوان محمد العيد آل خليفة

المحاضرة السابعة: عيون البصائر البشير الابراهيمي

المحاضرة الثامنة: غادة أم القرى أحمد رضا حوحو

المحاضرة التاسعة: الجازية والدراويش عبد الحميد بن هدوقة / الشهداء يعودون هذا الأسبوع الطاهر وطار

المحاضرة العاشرة: معركة الزقاق رشيد بوجدرة/ الثلاثية محمد ديب

المحاضرة الحادية عشر: الأمير واسيني الأعرج

المحاضرة الثانية عشر: دواوين كل من سليمان جوادي عثمان لوصيف عز الدين ميهوبي

المحاضرة الثالثة عشر: بوابة الذكريات اسيا جبار، ذاكرة الجسد أحلام مستغانمي

المحاضرة الرابعة عشر: نجمة كاتب ياسين، الأجواد لعبد القادر علولة.

الخاتمة .

المحاضرة الأولى
الأدب الجزائري القديم الحمار الذهبي

1 .التعريف بصاحب الكتاب:

ولد أبوليوس أو أبولاي، أو أفولاي في أوائل القرن الثاني حوالي 125 م وتوفي حوالي 170م إبان الامتداد المسيحي. وكان يعترف بثقافته الإفريقية وهويته الأمازيغية، إذ كان يقول: "لم يتملكني في يوم من الأيام أي نوع من الشعور بالخجل من هويتي ومن وطني[1]"، ويقول أيضا، بكل اعتزاز وافتخار: "أنا نصف كدالي ونصف نوميدي[2] ."بيد أن ثمة باحثين أدرجوه ضمن الأدباء اللاتينيين، ونزعوا عنه الهوية الأمازيغية. ومن بين هؤلاء إميل فاگيه[3] الذي أدرج أبوليوس ضمن اللاتين المقلدين للإغريق. وقال عنه "أما أبوليس في روايته "الحمار الذهبي"، فلا يعدو أن يكون روائيا هوائيا بالغ التعقيد شغوفا بكل شيء، وخاصة بالأشياء الفريدة في نوعها قويا مليا وصوفيا في ساعاته، وجماع القول: إنه مربك جدا[4]"، ومنهم كذلك الدكتور محمد غنيمي هلال عندما نص على تأثر القصة اللاتينية بالقصة اليونانية، وخير من يمثل هذا التأثر قصة "المسوخ" أو "الحمار الذهبي" التي ألفها أبوليس في النصف الثاني من القرن الثاني بعد الميلاد، ولها أصل يوناني مجهول المؤلف[5].

ولقد ذهب الباحث المغربي حميد لحميداني نفس المذهب عندما جرد أبوليوس من هويته الأمازيغية، وأدرجه

ضمن الأدب الروماني القديم الذي كان يعتمد اللاتينية لغة، وقد أشار إلى أن "لوكسيوس" بطل رواية المسوخ للقصاص اللاتيني "أبوليوس" يفسر ذلك التحول الفانطاستيكي الذي يطرأ على الإنسان فيصير دون طبيعته الإنسانية بالاستسلام للغرائز الحيوانية الدنيا[6]

ونجد من الذين دافعوا عن أمازيغيته محمد شفيق الذي أدرجه الى جانب المسرحي تيرنيسي آفر أو تيرنتيوس آفر (185 .159 ق.م) ضمن أدباء الثقافة الأمازيغية في عهد الوثنية

الذين تثاقفوا مع الأدب الإغريقي واللاتيني[7]، ونجد محمد حنداين الذي اتخذ من أفولاي مثالا للشخصية الأمازيغية القوية في الأدب العالمي القديم الذي تعلم كثيرا من اللغات وألف كتبا عديدة أشهرها روايته "الحمار الذهبي" التي أثر بواسطتها على الرواية العالمية القديمة، وأبهر الرومان والإغريق إلى درجة اتهامهم له بالسحر[8] . ونفس الموقف سيتخذه الكاتب الليبي الدكتور علي فهمي خشيم حينما اعتبر أبوليوس كاتبا إفريقيا أمازيغيا وعروبيا، كان ينتقل بين الجزائر وقرطاج وليبيا، وعد "الحمار الذهبي" أول نص روائي عربي[9] .ويذهب كذلك عباس الجراري إلى أن التاريخ احتفظ بأسماء غير قليل من الأدباء والفلاسفة وعلماء الدين الذين تخرجوا في هذا التعليم من مختلف أقطار الشمال الإفريقي، وعبروا باللاتينية في الغالب لأنها كانت لغة الفاتح المستعمر، وليس لأن اللغة الوطنية كانت قاصرة كما ذهب إلى ذلك أندريه جوليان[10] .ويدرج المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان المتخصص في تاريخ أفريقيا الشمالية القديمة مبدعنا أبوليوس ضمن أدباء إفريقيا إذ قال "كان أبوليوس المولود حوالي سنة 125م من أشهر الكتاب الأفارقة[11]."

ويتبين لنا مما سبق، أن هوية أبوليوس جزائرية المولد، وأفريقية المنبت، وأمازيغية الأصل، ولكنها رومانية الجنسية، وإغريقية الثقافة والفكر، وشرقية المعتقد.

2. مضامين رواية الحمار الذهبي:

وقد أطلقت على روايته الغرائبية (الحمار الذهبي) تسميات عدة من بينها: المسوخ ، وقصة المسخ كما عند حميد لحمداني، أو "الحمار الذهبي" (أو التحولات) كما عند عمار الجلاصي، أو الحمار الذهبي فحسب كما لدى أبو العيد دودو، أو "تحولات الجحش الذهبي" كما عند فهمي علي خشيم. وأسميها – شخصيا– رواية "الحمار الوردي"، لأن كلمة الورد أو الوردي تتكرر مرارا في متن الرواية، إذ وصف لوكيوس بأنه وردي البشرة، ووصفت حبيبته بأنها وردية اليد، والأكثر من ذلك أنه كان يحلم بالورد طيلة فترة تحوله، ويفر كلما رأى الورد

أو ما يشبه الورد لأنه يجسم الخلاص بالنسبة إليه. وهناك من ترجم هذه الرواية عن اللاتينية كعمار جلاصي وأبو العيد دودو، وهناك من ترجمها عن الإنجليزية كعلي فهمي خشيم.

ومن كتبه الأخرى "دفاع صبراتة" الذي ترجمه الدكتور فهمي علي خشيم، و"في السحر"، وكتاب "شيطان سقراط" وهو عبارة عن كوميديا ساخرة تختلط فيها الفلسفة بالسخرية، وقد شرع الكاتب الليبي فهمي علي خشيم في ترجمته إلى اللغة العربية.

ظهرت قصة أبوليوس في مسخ الإنسان إلى حيوان ثم عودته الى حالته الأولى في أواخر القرن الأول بعد الميلاد أي حوالي سنة 170 م في قرطاج، وراوي هذه القصة هو لوسيان حيث حوّل البطل لوكسيوس إلى حمار الذي سيعود إلى صورته الآدمية الأولى بعد مغامرات عديدة تتخللها قصص جزئية متداخلة، تضمينا وتشويقا وتوليدا كقصة "بسيشية وكوبيدون" الرائعة في أبعادها الفاطاستيكية والأخلاقية.

هذا، وإن رواية الحمار الذهبي ذات طابع ملحمي وفانطاستيكي غريب، حيث تعتمد على فكرة المسخ وتحويل الكائن البشري الى حيوانات أو أشياء على غرار الإبداعات اليونانية. إذ يتحول لوكسيوس في هذه الرواية إلى حمار بسبب خطأ حبيبته فوتيس التي كان يحبها لوكيوس كثيرا حينما ناولته مادة دهنية هي ملك سيدتها بامفيلا زوجة ميلون التي تمارس السحر في غرفتها السرية، وبهذه المادة يتحول الكائن البشري إلى أنواع من الطيور والكائنات الخارقة التي تجمع بين الغرابة والتعجيب. وعندما سمع لوكيوس الشاب أسرار سحر هذه المرأة دفعه تطفله وفضوله إلى أن يأمر فوتيس بجلب دهن الساحرة ليجربه قصد التحول إلى طائر لينأى عن الناس ويهاجر حيال عالم المثل بعيدا عن عالم الفساد والانحطاط البشري. بيد أن فوتيس جلبت له مادة دهنية سامة تحوّل الإنسان إلى حمار. وبعد مغامرات صعبة ذاق فيها لوكيوس أنواعا من العذاب والهلاك وتعرف عبرها مكائد

البشر وحيلهم يعود إلى حالته الآدمية الإنسانية بعد أن تدخلت الآلهة إيزيس لتجعله راهبا متعبدا وخادما وفيا لها.

وبتعبير آخر، إن لوكسيوس بطل القصة، اتجه نحو مدينة "تسالي" لأمور تخص أسرته، فنزل على فتى بخيل ضيفا له، فكانت لذلك المضيف الشحيح امرأة ساحرة تتحول إلى أشكال مختلفة إذا دهنت نفسها بأنواع من الزيوت الخاصة بالمسخ والتحويل، فطلب "لوكسيوس" من عشيقته فوتيس أن تدهنه ليتحول الى مخلوق آخر، بيد أنه تحول إلى حمار، بعدما أن أخطأت فوتيس خادمة بامفيلا الساحرة في اختيار المحلول المناسب للمسخ، وهكذا يتعرض لوكسيوس/ الحمار لكثير من العذاب جوعا وقسوة فظل أسير المعاناة والتنكيل والاضطهاد في أيدي الكثير من البشر بما فيهم اللصوص والرهبان.

وبعد انتقاله من يد إلى يد، كان يطّلع في مغامراته السيزيفية على كثير من خبايا البشر وقصصهم وحوادثهم وتجاربهم، ويعرف ضروب الفسق الآدمي، علاوة على العار، وضربات العصا والظلم في مخاطرات كثيرة إلى درجة كرهه للإنسان الذي انحط انحطاطا خلقيا، ولم يتحول إلى حالته الأولى إلا على يد كاهن يحرس معبد الآلهة "ايزيس."

إن قضية المسخ قديمة إذ وجدت في الملاحم القديمة حيث كان الإنسان يتحول إلى قرد أو حيوان أو سمكة أو شجرة أو حجرة، ويستند هذا المسخ في القديم إلى طقوس وعقائد شعبية، ففي "أوديسية" هوميروس الشاعر اليوناني مسخ أصحاب "يوليوس" إلى خنازير. كما توجد في أشعار يونانية قديمة قصائد ومقطوعات موضوعها قصص المسخ التي ضاع منها الكثير.

ويعبر تحول لوكسيوس إلى حمار عن فكرة المسخ الحيواني والعقاب القاسي لكل متطفل فضولي لم يرض برزقه وبشريته وإنسانيته، كما يحيل على ذلك الجزاء الذي يستحقه الزناة

ومنحطو الأخلاق، ذلك أن لوكسيوس سيدخل في علاقات جنسية غير شرعية مع خادمة مضيفه ميلون، وقد يدل هذا المسخ على انحطاط الإنسان وعدم سموه أخلاقيا. ولن يعود البطل إلى حالته البشرية إلا بعد التوبة والدعاء باسم الآلهة والتخلص من نوازعه الإيروسية وانفعالاته البشرية العدوانية وتدخل المنقذة إيزيس. لذلك نلفي الكاتب يشيد بإيزيس الآلهة المخلصة وبالديانة الشرقية وفي نفس الوقت يسفه بالديانات الرومانية وانحطاطها الأخلاقي بله عن وصفه لبعض العادات والتقاليد السائدة في عصره وهجوها نقدا وتسفيها. وقد آل هذا التحول الفانطاستيكي إلى معنى رمزي يجسد انحطاط الإنسان ونزوله إلى مرتبة الحيوان حينما يستسلم لغرائزه وأهوائه الشبقية وانفعالاته الضالة، بيد أن النجاة في الرواية لن تتحقق سوى عن طريق المحن والابتلاءات والاختبارات المضنية والاستعانة بالتوبة واسترضاء الآلهة.

ومن القصص الدخيلة الهامة في الرواية قصة الفاتنة "بيسيشية" وحب الإله "كوبيدون" لها، ثم هيامها به، وتعرضها لكثير من المحن في سبيل ارتقائها إلى مرتبة الخلود وهي تشغل في القصة جزءا من الكتاب الرابع ثم الكتاب الخامس وجزءا من السادس، وقد اتخذت فيما بعد رمزا للحب الإلهي وارتقائه بالنفس الى مرتبة الخلود[12] .

3. أهم القضايا التي تعالجها الرواية:

إن رواية "الحمار الذهبي" قراءة انتقادية ساخرة للمجتمع الروماني على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. وتتجاوز هذه القراءة "الوعي البشري، وتنقب داخل المخبأ وداخل اللاوعي، وينبغي قراءة الحمار الذهبي قراءة متأنية في سياق انهيار العقل واضمحلال المركزية الرومانية وتفككها بحيث لم تعد روما هي معبد الثقافة ولكنها انسحبت أو بدأت تفعل ذلك تاركة مكانها لمناطق أخرى مثل أثينا[13]" .

تبدو الرواية في رحلتها الفنطاستيكية –على الرغم من تعدد أجزائها– نصا واقعيا ساخرا ينتقد العقل الظلامي ويسفه سلوكيات السحرة وأباطرة القضاء الروماني الذين اتهموا "لوكيوس" بالسحر والشعوذة، ومن هنا فالرواية إعلان لانهيار الإمبراطورية الرومانية وإفلاسها أخلاقيا.

وتتضمن رواية أبوليوس فكرة المسخ لدى الإنسان القديم المرتبطة بفكرة عقاب الآلهة، فهي تنزله على من هم أكثر بعدا عن الروح الإلهية، وأكثر قربا من الحياة الحيوانية البئيسة[14]

ومن خصائص رواية الحمار الذهبي أنها رواية عجائبية غرائبية يتداخل فيها الواقع مع الخيال، والسحر مع العقل، والوعي واللاوعي. ويتبنى فيها الكاتب المنظور الذاتي والرؤية الداخلية وضمير المتكلم مع استخدام تقنية التوليد القصصي أو ما يسمى بالتضمين القصصي دون أن ننسى روعة الوصف وبراعة الأسلوب والإكثار من الإحالات والمستنسخات التناصية وتشغيل الخطابات الدينية والأدبية والفلسفية والصوفية والعجائبية والأسطورية.

وتقترب القصة من خلال خصائصها الفنية والبلاغية من أصلها الملحمي الشاعري "فالقاص ينهج منهج الشاعر في نزعته إلى الواقع، والقاص والشاعر كلاهما كان يتخيل، ويصف ما يتخيل، أيسر مما يصف الواقع ويواجهه، وكانت الجماهير في عصور الإنسانية الأولى تهتم بالأحداث العجيبة وبالأخطار الخيالية، على حين لا تعبأ بالواقع، ولا تحفل به، وبذلك سبقت القصة الخيالية إلى الوجود القصة الواقعية، كما سبق الشعر النثر الفني، إذ كان كل منهما يمتاح من مورد واحد[15]" .

4. الانتقادات والآراء حول الرواية:

الترجمات إلى اللغة العربية:

- ترجمة الدكتور علي فهمي خشيم ، ليبيا ، عن الانجليزية: 1980 م صادرة عن المنشأة العامة للنشر طرابلس ، ليبيا ، بعنوان (تحولات الجحش الذهبي).
- ترجمة الدكتور أبو العيد دودو ، الجزائر ، عن الفرنسية : 2001م ، صادرة عن الدار العربية للعلوم، بعنوان (الحمار الذهبي).
- ترجمة عمار الجلاصي ، تونس، عن اللاتينية : 2000م ، صادرة عن مؤسسة تاوالت الثقافية ، بعنوان(الحمار الذهبي أو التحولات).

تعرض شارل أندري جوليان لقضية كتابة الرواية بقوله: "ولا تزال المناقشات متواصلة لمعرفة ما إذا كان أبوليوس ألف كتابه باليونانية أو لا؟ وهل كان لحمار لوسيان والمسوخ مصدر مشترك أم هل أن المرجع الأصلي هو قصة لوسيان المطولة يكون "الحمار" ملخصا لها. ومهما يكن فان رواية أبوليوس المتنوعة الطبيعية المحشوة بدقائق العادات والتي تتابع فيها أحاديث الفسق والتقوى هي من الكتب اللاتينية القلائل التي لا تزال تقرأ من دون ملل.

وأنه يتعذر أن نعرف بالضبط هل أن كتاب إفريقية ينحدرون من معمرين رومان، وأغلب الظن أن أكثرهم كانوا من البربر المتأثرين بالحضارة الرومانية الذين عبروا في لغة الفاتحين عما كانت اللغة الليبية وحتى البونيقية قاصرة دونه" [16].أما محمد شفيق فلقد أشار إلى أمازيغية أبوليوس، ولم يشر إلى اللغة المستعملة في كتابه "الحمار الذهبي"، هل كتب أفولاي بخط تيفيناغ أم باللغات المجاورة لمملكة نوميديا كاللاتينية واليونانية؟! يقول محمد شفيق عن أبوليوس بأنه "اتخذ الرواية الطويلة النفس مطية لوصف الأوضاع الاجتماعية، وانتقادها في سخرية حينا، وفي شدة وصرامة أحيانا، فدافع عن المستضعفين وطرق بكيفية غير مباشرة موضوعات فلسفية مظهرا لنزعته الصوفية[17] " .

وهناك باحثون آخرون ذهبوا إلى أن الرواية كتبت باللغة اللاتينية، ومنهم إميل فاگيه (Emile Faguet)، وغنيمي هلال، وحميد لحميداني وعز الدين المناصرة[18]، بيد أن محمد

حنداين أشار إلى أمازيغية الكتابة التي وظفها أفولاي، لأن الأمازيغيين مارسوا أدبا رفيعا قبل 3000 (ق.م)، وكتبوا بحروفهم "تيفيناغ" ونافسوا الدول المجاورة كالفينيقيين والرومان، وقاوموا محاولات طمس هوية أدبهم الأمازيغي، كما مارسوا المثاقفة مع الشعوب المجاورة، وفشلت ثقافة "الرومنة" أمام قوة الأدب الأمازيغي، ويكفي أن نأخذ مثالا لذلك الشخصية القوية "لأفولاي Appulée الذي تعلم كثيرا من اللغات، وألف كتبا عديدة أشهرها كتاب "الحمار الذهبي" الذي أثر بواسطته على الرواية العالمية القديمة [19] .

ويرى علي فهمي خشيم أن أبوليوس جمع في روايته بين لغات عدة بما فيها الأمازيغية واللاتينية واليونانية. إذ يقول أبوليوس: "أنا أدخلت إلى اللغة اللاتينية تعبيرات علمية ليست موجودة في هذه اللغة اللاتينية. أنا أدخلتها. أنا الشرقي العربي، غير الروماني، أثريت اللغة اللاتينية بترجمة مصطلحات من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية[20] " .

وفي رأيي أن أفولاي كغيره من رواد الثقافة الأمازيغية، عبروا باللغة اللاتينية لأنها لغة المستعمر التي فرضت على أبناء نوميديا وأهل قرطاج، وبها دخل الأدب العالمي وبها درس ودرّس حينما زار إيطاليا، وعاد الى قرطاجنة ليدرّس بها الفنون والفلسفة والأدب.

المحاضرة الثانية

الدر الوقاد في شعر بكر بن

.

1- التعريف بصاحب الكتاب

أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل (وقيل بن سهر) بن إسماعيل الزناتي أصلا والتيهرتي نشأة ودارا ووفاة، ولد بمدينة تيهرت عاصمة الرستميين سنة 200 هجرية، وبها تلقى دروسه الأولى عن طريق جلة علمائها ومحدثيها وفقهائها، إلى أن بلغ سن السابعة عشر حيث غادر بعدها مدينته تيهرت نحو إفريقية والمشرق، ويعد بكر من أوائل الشعراء المجيدين والذائعي الصيت في المغرب العربي.

- **حياته ورحلاته**

سافر بكر بن حماد من مدينته تيهرت سنة 217 هجرية قاصدا المشرق، فتوقف بالقيروان، وأخذ عن أكابر علمائها وبالخصوص عون بن يوسف الخزاعي والإمام سحنون بن سعيد التنوخي، وما لبث مدة من الزمن حتى غادر القيروان نحو المشرق قاصدا البصرة والكوفة حيث أخذ عن محدثيها مثل عمر بن مرزوق البصري وأبي الحسن البصري وبشر بن حجر وأبي حاتم السجستاني وعن علمائها مثل الرياشي وابن الأعرابي وقصد عاصمة الخلافة العباسية بغداد فاتصل بالخليفة المعتصم ومدحه بأشعار رائقة فأكرمه الخليفة وأخلع عليه من الجوائز الكثير، كما كانت بينه وبين دعبل الخزاعي بعض الحوادث، ولقي أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، وعلي بن جهم الخراساني.

ثم بعد مدة طويلة عاد إلى المغرب وأقام بالقيروان وأقام للتدريس هناك بجامعها . فقد كان من رواة الحديث مع ما اشتهر عنه من الشعر والأدب والفصاحة والبيان فلم تكن مجالسه لتخلوا من المناظرات العلمية في شتى صنوف العلم والأدب.

وبعد طواف طويل عاد إلى موطنه تيهرت وتوفي وهو في مقربة منها سنة 296 هجرية.

- **آثاره**

رغم شهرة بكر بن حماد في علم الحديث النبوي الشريف ومعاصرته لعلماء أجلة في هذا الباب، لكن كتب التراجم والسير لم تذكر أنه ترك أي كتاب في هذا المجال، ورغم هذا فقد روى ونقل عنه تلاميذه بإملائه كتب الحديث مثل مسند ابن مسهد ومسند بقي بن خالد وغيرهم، وله أقوال في الجرح والتعديل منقولة عنه . أما بالنسبة للشعر فله فيه قصائد وأبيات كثيرة متفرقة جمعها مؤخرا الأستاذ رمضان شاوش في ديوان سماه " الدر الواقد من شعر بكر بن حماد."

2- أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب

ترك بكر بن حماد ديوانا شعريا بعنوان "الدر الوقاد"، وتزعم الحركة الزهدية في الأدب المغاربي، كما كان يتزعمها أبو العتاهية في المشرق.

ومن شعره في الزهديات[21]:

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي، فطال مروقها
فيا أسفي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لا يزال يسوقها
إلى مشهد لا بد لي من شهوده ومن جزع للموت سوف أذوقها
ستأكلها الديدان في باطن الثرى ويذهب عنها طيبها وخلوقها.

ومن شعره في رثاء ولده[22]:

بكيت على الأحبة إذ تولوا ولو أني هلكت، بكوا عليا

فيـــا نســـلي بقـــاؤك كـــان ذخـــرا وفقـــدك قـــد كـــوى الأكبـــاد حيـــا
كفـــى حزنـــا بـــأني منـــك خلـــو وأنـــك ميـــت وبقيـــت حيـــا
ولـــم أك أيســـا فيئســـت لمـــا رميـــت التـــرب فوقـــك مـــن يـــديا

خلص إلى أن ميلاد الأدب العربي في الجزائر كان مع أمراء بني رستم، وأن أول دولة جزائرية مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد، بعد اعتناق الجزائريين الإسلام، كان قادتها مثقفين، متعلمين بل أدباء مبدعين"[23].

ومن بين هاته النماذج الساحرة نورد منها : فن الاعتذار، لما ثار بكر بن حماد على الإمام أبي حاتم يوسف الرستمي، عاد معتذرا إليه عن اشتراكه في الفتنة التي ثارت بقصيدة يقول فيها[24]:

ومؤنســـة لـــي بـــالعراق تركتهـــا وغصـــن شـــبابي فـــي الغصـــون نضـــير

فقالـــت كمـــا قـــال النواســـي قبلهـــا عزيـــز علينـــا أن نـــراك تســـير

فقلـــت جفـــاني يوســـف بـــن محمّـــد فطـــال علـــي الليـــل وهـــو قصـــير

أبـــا حـــاتم مـــا كـــان مـــا كـــان بغضـــة ولكـــن أتـــت بعـــد ألمـــور أمـــور

وأكرهينـــي قـــوم خشـــيت عقـــابهم فـــداريتهم، والـــدائرات تـــدور

وأكـــرم عفـــو يـــؤثر النـــاس أمـــره إذا مـــا عفـــا الإنســـان وهـــو قـــدير

أما في الرثاء فله قصيدة حزينة مؤثرة تعد من عيون الشعر العربي في الرثاء على فراق ابنه عبد الرحمن الذي قتل سنة 295 هـ والتي يقول فيها[25] :

بكيـــت علـــى الأحبـــة إذ تولـــوا و لـــو أيـــن هلكـــت بكـــوا عليـــاً

فيـــا نســـلي بقـــاؤك كـــان ذخـــرا وفقـــدك قـــد كـــوى الأكبـــاد كيـــاً

كفـــى حزنـــا بـــأنني منـــك خلـــو وأنـــك ميـــت وبقيـــت حيـــاً

دعوتـــك يـــا بنـــي فلـــم تجبنـــي فكانـــت دعـــوتي يأيســـا عليـــاً

ولـــم أك آيســـا فيئســـت لمَّـــا رميـــت التـــرب فوقـــك مـــن يديـــاً

فليـــت الخلـــق إذ خلقـــوا أطـــالوا وليتـــك لـــم تـــك يـــا بكـــر شيـــاً

تسُّـــر بأشـــهرٍ تمضـــي ســـراعا وتطـــوي فـــي لياليـــهن طيـــاً

فـــلا تفـــرح بـــدنيا ليـــس تبقـــى ولا تأســـف عليهـــا يـــا بنيـــاً

فقـــد قطـــع البقـــاء غـــروب شـــمس ومطلعهـــا علـــي يـــا أخيَّـــا

ولـــيس الهـــم يجلـــوه نهـــار تـــدور لـــه الفراقـــد والثرَّيـــا

أما في الهجاء فإلى جانب هجائه لدعبل الخزاعي في حضرة الخليفة العباسي المعتصم فقد هجا عمران بن حطّان الخارجي المتوفي 84 هـ الذي أثنى على عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي القصيدة التي قيدتها كتب التاريخ والأدب وانتشرت في كل مكان، يقول فيها [26]:

قـــل لابـــن ملجـــم والأقـــدار غالبـــةٌ هـــــدمت ويحـــــك للإســـــلام أركانـــــا

قتلـــت أفضـــل مـــن يمشـــي علـــى قـــدم وأول النـــــــاس إســـــــلاما وإيمانـــــــا

وأعلـــم النـــــاس بـــــالقرآن ثـــم بمـــــا ســـــن الرســـــول لنـــــا شـــــرعا وتبيانـــــا

صـــــهر النبـــــي ومـــــولاه وناصـــــره أضـــــــحت مناقبـــــــه نـــــــورا وبرهانـــــــا

وكـــان منـــه علـــى رغـــم الحســـود لـــه مكـــان هـــارون مـــن موســـى بـــن عمـــران

3-أراء نقدية حول الكتاب

اشتهر بكر بن حماد بقوة حفظه وشدة ذكائه، وبحسن روايته للحديث الشريف، وقد وثقه علماء الإسلام ممن ترجموا له أو ذكروا الأحاديث المسندة عنه، مع ماكان مشهور به من الشعر والفصاحة والبيان حيث لم يكن يقل شأنه عن شعراء عصره مثل أبو تمام أو دعبل الخزاعي وقد أثنى عليه أقرانه وشيوخه وتلاميذه أيضا:

فوصفه الإمام العجلي: "من أئمة أصحاب الحديث" و"ثقة ثبت وكان صاحب آداب."

كما قال عنه ياقوت الحموي: "بكر بن حماد أبو عبد الرحمن، كان بتيهرت وهو من حفاظ الحديث وثقات المحدثين المأمونين."

وقال عنه محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري: "بكر بن حماد، كان ثقة مأمونا حافظا للحديث."

وقد أوضح الدكتور عبد الملك مرتاض أن الشاعر (بكر بن حماد)، هو الذي يمثل الأديب الجزائري الأول بحق، وذلك طوال عهد الرستميين، بحكم أنه أكثر الشعراء الذين ينسبون إلى هذا العهد، وهو أجملهم نسجاً، وألصقهم مكانة بالشعر، وهذا ما دفعه إلى القيام بدراسة تحليلية معمقة، وطويلة في قصيدته الشهيرة التي عُرفت بقصيدة (ذكر الموت).

وكما برع بكر بن حماد في غرض المدح، برع كذلك في الشعر الزهدي الذي يدعو"إلى الموعظة، وتوجيه الناس نحو التنسك والعبادة، معتبراً أن هذه الحياة ما هي إلا دار ممرّ إلى دار مقرّ، وما زينتها وبهرجها إلا خداع للمرء، وإغراء له، كي تنسيه خالقه، وتجعله عبداً لشهواته ونزواته. فإذا أراد الإنسان حياة هنيئة في الآخرة ، فما عليه إلا أن ينبذ هذه الدنيا، ويعدّ نفسه لحياة أبدية" [27].

وقد عُرف بكر بن حماد بأنه من الذين نزعوا في حياتهم نزعة زهدية، وهذا ما عبّر عنه الدكتور عبد الملك مرتاض بقوله:" لقد عُرف بكر بن حماد بشاعر الزهد، حتى إننا قد لا نُغالي إن أطلقنا عليه أبا عتاهية الجزائر، إذ لا نعرف شاعراً برع في هذا النوع الأدبي في بلاد المغرب كلها،على عهده على الأقل، مثل براعته هو، وإن كنا لنحسب أنه يُعد أيضاً من أكابر شعراء القرن الثالث للهجرة كله في أقطار المغرب، إن لم يكن أكبرهم إطلاقا"[28].

ويُرجع الدكتور مرتاض عدم ضلوع بكر بن حماد في غرض الغزل إلى سببين اثنين:

أولهما: أنه كان راوية للحديث النبوي الشريف، عالماً به، مميزاً لرجاله، فقد كان من الوقار، والوفاء لهذه الصفة، أن لا يقول شعراً في الغزل، فيسئ إلى سمعته في الرواية، ويجلب على نفسه، ومنزلته بين الفقهاء، والمحدثين شيئاً من الأذى.

وثانيهما: أنه عرف بالزهديات، والوعظيات، وهذه الصفة تعد مكملة لرواية الحديث، وحفظه، ومدارسته، فكان من النشاز في شخصيته أن يقول في باب الزهد شعراً،وفي باب الغزل شعراً مثله.

وقد كتب بكر بن حماد مقطوعة في رثاء ابنه عبد الرحمن، تعد من أهم المقطوعات التي كتبت في هذا الغرض في الشعر الجزائري القديم.

وبالنسبة إلى غرض الحكمة والتوجيه، فمن بين الذين كتبوا في القديم سعيد بن واشكل التيهرتي، وأفلح بن عبد الوهاب، بالإضافة إلى بكر بن حماد.

المحاضرة الثالثة

ديوان الأمير عبد القادر

1. التعريف بصاحب الكتاب

هو عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري. أمير، مجاهد، من العلماء الشعراء البسلاء. ولد في القيطنة (من قرى إيالة وهران بالجزائر) وتعلم في وهران. وحج مع أبيه سنة 1241هـ، فزار المدينة ودمشق وبغداد. ولما دخل الفرنسيس بلاد الجزائر (سنة 1246هـ - 1843م) بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد، فنهض بهم، وقاتل الفرنسيس خمسة عشر عاماً، ضرب في أثنائها نقوداً سماها (المحمدية) وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند. وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة. وأخباره مع الفرنسيين في احتلالهم الجزائر، كثيرة، لا مجال هنا لاستقصائها. ولما هادنهم سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام، ضعف أمر عبد القادر، فاشترط شروطاً للاستسلام رضى بها الفرنسيون، واستسلم سنة 1263هـ (1847م) فنفوه إلى طولون، ومنها إلى أنبواز حيث أقام نيفاً وأربع سنين. وزارة نابليون الثالث فسرحه، مشترطاً أن لا يعود إلى الجزائر. ورتب له مبلغاً من المال يأخذه كل عام. فزار باريس والأستانة، واستقر في دمشق سنة 1271هـ، وتوفى فيها. من آثاره العلمية (ذكرى العاقل - ط) رسالة في العلوم والأخلاق، و (ديوان شعره - ط) و(المواقف - ط) ثلاثة أجزاء في التصوف"[29].

2. خصائص شعر الأمير:

لقد انطوي شعر الامير في هذه الفترة من تاريخ الادب الجزائري عل جملة من الخصائص قلما نجدها في شعر من عاصره نوجزها فيما يلي:

1- مجانبته لأساليب الدوران حول المعني فهو يصل الي المعني بطريقة مباشرة.

2-فتح المجال امام الكلمة المؤدية الي الغرض المطلوب بوضوح و دقة

3-- هيا الظروف للنص الشعري الذي يتحدث عن حياة الناس و يصور واقعهم و يخاطب و جدانهم بلغة عادية و سهلة.

4 - الإجادة في توظيف الكلمة الواحدة و استثمارها في معانيها المختلفة .

5- حيوية الوصف و خاصة في وصف حركة فرسه في الكرو الفر و مراجع الصحراء بالإضافة الي و صف مشاعره .

.6- تغلب علي بعض شعره سمة التفكك و الاستطراد و انعدام مايسمي بالوحدة العضوية غير ان هذه السلبيات في شعره طبيعية ذلك ان الامير عبد القادر لم يكن من الشعراء الذين يجودون شعرهم و يهتمون به تصحيحا وتنقيحا لأنه كان يكتب عفو الخاطر فلا تترك له وقت المراجعة ما كتب و تصحيح ما وقع فيه من ضرورات شعرية" [30].

3. أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب

وسأورد أمثلة من ديوان الأمير عبد القادر لصاحبه "العربي دحو"؛ يقول في قصيدة "بي يحتمي جيشي"[31].

تُسَائِلُنِي أمُّ البَنِينَ، وإنَّها لَأعلَمُ مِن تحتِ السَّماءِ بأحْوَالي

أَلَمْ تَعْلَمِي يا ربَّةَ الخِدْر أنَّنِي أُجَلِّي هُمُومَ القَوْمِ في يَوْم تَجْوَالي

وأَغْشَى مَضِيقَ المَوْتِ لا مُتَهَيِّبا وأَحْمِي نِسَاءَ الحَيِّ في يَوْمِ تَهْوَال

إن المتأمل في هذه الأبيات يجد الأمير عبد القادر وهو يخاطب زوجته "أم البنين" يستحضر فروسية الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد وهو يتذكر ابنة عمّه عبلة في الحروب والمعارك" التي يقول فيها [32].

هَلَّا سَألْتِ الخَيْلَ يَا بْنَةَ مَالِكِ = = إنْ كُنْتِ جَاهِلة بِمَا لمْ تَعْلَمِي

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقَائِعَ أنَّنِي = = أغْشَى الوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ

وفي البيت الثامن من القصيدة نفسها يقول[33]:

وأُورِدُ رَايَاتِ الطِّعَانِ صَحِيحَة = = وأُصْدِرُهَا بِالرَّمْيِ تمْثَالَ غِرْبَال

فهو يحاكي الشاعر عمرو بن كلثوم حينما يقول في معلقته المشهورة [34]:

بِأنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضا = = ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرا قَدْ رَوِينا

أما في قصيدته الفخرية "ما في البداوة عيب" ففيها من جمال الصورة وروعة التعبير وحسن البلاغة وفصاحة اللغة ما كان عليه شعراء العصر الجاهلي، منها قوله في وصف الصيد[35]:

نُبَاكِرُ الصَّيْدَ أَحْيَانا فَنَبْغَتُهُ = = فَالصَّيْدُ مِنَّا مَدَى الأوْقَاتِ في ذُعر

فَكَمْ ظَلَمْنَا ظَلِيما في نَعَامَتِهِ = = وإنْ يَكُنْ طَائِرا في الجوِّ كالصَّقر

نُطَارِدُ الوَحْشَ والغِزْلانَ نَلْحَقُهَا = = عَلَى البِعَادِ وَمَا تَنْجُو مِنَ الضُّمَر

أما في الغزل فنجده رقيق المشاعر، عذَّبه الفراق وقتله الشوق والحنين لزوجته "أم البنين"؛ ففي قصيدة "فراقك نار" يقول[36]:

أَقُولُ لمحْبُوبٍ تخلَّفَ مِنْ بَعْدِي = = عَلِيلا بِأَوْجَاعِ الفِرَاقِ وبالبُعْدِ

أَمَا أنْتَ لَوْ حَقّا رَأَيْتَ صَبَابَتِي = = لَهَانَ عَلَيْكَ الأَمْرُ مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ

غَرِيقٌ أَسِيرُ السَّقْمِ مَكْلُومٌ الحَشَا = = حَرِيقٌ بِنَارِ الهَجْرِ والوَجْدِ والصَّدِّ

وفي سينيته "غلاء الدار بالجار" التي بعث بها إلى صديقٍ له ببروسة بعدما غادرها ليستقر بدمشق بسبب الزلازل التي كانت تضرب بروسة (مدينة تركية) بين الحين والآخر نجده يقول في أحد أبياتها[37] :

فَمَا جَازَهَا فَضْلٌ، وَلَا حَلَّ دُونَهَا = = سِوَاهَا نُجُومٌ وَهْيَ أَحْسَبُهَا شَمْسا

هذا البيت اقتبسه من قصيدة أبي نواس "أجارتا بيتينا أبوك غيور" التي مدح فيها أمير مصر، الخصيب بن عبد الحميد العجمي، عامل هارون الرشيد على الخراج، والتي منها[38] :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ، وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

أما في نونيته الصوفية حول العشق الإلهي "أنا الحبُّ والمحبوب والحبُّ جملة" التي حاكى فيها قصيدة جرير "بان الخليط " وزنا وقافية نجده هائما في حبِّ الله وذاته؛ يقول فيها[39]:

عَنِ الحُبِّ مَالِي كُلَّمَا رُمْتُ سُلْوَانَا = = أَرَى حَشْوَ أَحْشَائِي مِنَ الشَّوْقِ نِيرَانا

فَمَا القُرْبُ لي شَافٍ وَلَا البُعْدُ نَافِع = = وَفي قُـرْبِنَا عِشْـقٌ دَعَـانِي هَـيْمَانا

وَفي بُعْـدِنَا شَـوْقٌ يُقَطِّـعُ مُهْجَتي = =تَقْطِيعِ بَيْتِ الشِّعْرِ للنَّظْمِ مِيزَانا

أَنَا الحُبُّ والمحْبُـوبُ والحُبُّ جملة = = أَنَا العَاشِـقُ المَعْشُـوقُ سِرّا وَإِعْلَانا

إنَّ الأمثلة عمَّا أقول كثيرة، ولا يسعنا في الأخير إلا أن نسلِّم للأمر الواقع ولا نحجب الحقيقة وراء السراب، وعلينا أن نكون منطقيين ومُنصفين، ونرجع الأمور إلى نصابها دون تحيُّزٍ، ونقول دون خوفٍ أو تردُّدٍ في احترام متبادل بين المشرق والمغرب: رائد شعر الإحياء والبعث في الوطن العربي هو الأمير عبد القادر الجزائري.

4. أراء نقدية حول الكتاب

وعلى الرغم من تراكم الكتابات عن الأمير، إلا أننا لا نجد له ترجمة شخصية وافية في أية لغة، "فالفرنسيون الذين اهتموا بالأمير ولا سيما بعد 1849، والذين يملكون عنه أكثر من غيرهم وثائق أساسية عن حياته وعلاقاته ومجالات تفكيره لم يكتبوا عنه إلا أشياء ترمي في الغالب إلى إثبات تفوقهم وإثبات صداقة الأمير للفرنسيين بعد حربه لهم"[40]،وتجمع الدراسات التي ألفت حول حياة الأمير –أو تكاد– أن الجوانب الروحية والفكرية والاجتماعية ظلت مهملة.

ويعتقد الدكتور سعد الله أن " تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر" لمحمد بن الأمير عبد القادر[41] تعتبر حتى الآن أفضل ترجمة شخصية بالعربية عن الأمير، غير أنها تفتقر إلى المنهج، وتحتوي على كثير من المبالغات، الأمر الذي ينزع عنها صفة الترجمة الشخصية الجادة، بالإضافة إلى اعتماد الأمير محمد على نقول غير منتظمة من الكتب الأجنبية عن الأمير، إعجابا ببطولته الشخصية أو بمواقفه السياسية، أما الروح العلمية المجردة لدور الأمير سواء في الجزائر أو خارجها فلا وجود له بالعربية أيضا" [42].

وجاءت ترجمة تشرشل للأمير جامعة لعدة جوانب إيجابية تفتقر إليها الأعمال الأخرى سواء كانت عربية أم فرنسية من وجهة نظر الدكتور أبو القاسم سعد الله، إلا أنها تنتهي بحوادث سنة 1864، وتظل تسع عشرة سنة من حياة الأمير غير واردة عن مصدرها الأصلي، وهو الأمير، ذلك أن هذه الترجمة كانت من إملاء الأمير عبد القادر كما يصرح ش.هـ. تشرشل في مقدمة مؤلفه :" أقمت في دمشق أثناء شتاء سنة 1859-1860 بهدف وضع عزيمتي موضع التنفيذ. ورغم أن عبد القادر كان شحيحا بوقته فقد رضي أن يمنحني مقابلة ساعة يوميا. وهكذا فتح المنجم أمامي. وبقي أن استخرج منه الخام. وقد فعلت ذلك مدة خمسة أشهر"[43].

وقد اطلعت في السياق نفسه على بعض المؤلفات الأجنبية التي تناولت الأمير عبد القادر من خلال سيرته، وأجدها تعزز قراءة "دوجا"، ويتعلق الأمر بمؤلف يوهان كارل بيرنت "**الأمير عبد القادر**" الذي ترجمه وقدم له : د.أبو العيد دودو الصادر عن دار هومة، 1997 بالجزائر. وعنوانه الأصلي بالألمانية: **ثلاث سنوات من حياة ألماني بين العرب**، وقد حمل الكتاب عنوانا فرعيا آخر بالإضافة إلى ملحق، وعروض وتفسيرات خاصة بالعادات والتقاليد والأمثال، وأساليب التعبير وغيرها عند العرب.

ومما ورد في وصف الأمير قوله :" والأمير عبد القادر رجل شاب في حوالي الثلاثين من عمره، وهو قصير القامة، رشيق الجسم، أبيض اللون، يرتسم النبل والحلم على ملامح وجهه، وكانت عيناه ذواتا لون أزرق رمادي، ولكنهما براقتان، ولحيته سوداء منتظمة، وكان صوته عميقا، و به نعومة ورقة، وكان يحمل وشما صغيرا فوق جبينه وخده الأيمن ويده اليمنى" [44].

المحاضرة الرابعة

حكاية العشاق في الحب والاشتياق

مصطفى بن إبراهيم

1-التعريف بصاحب الكتاب:

كتب أحد الجزائريين رواية شعبية ذات أبطال وأحداث وطنية وشخصيات تاريخية، وهي رواية حكاية العشاق في الحب والاشتياق. ومؤلفها هو الأمير مصطفى بن إبراهيم بن مصطفى باشا. وتاريخ تأليفها هو سنة 1849. وكان جد المؤلف) مصطفى باشا (هو أحد دايات الجزائر أول القرن 19، وهو الذي بقي اسمه يطلق على ضاحية العاصمة والمستشفى المعروف بها. وكان أبو المؤلف) إبراهيم بن مصطفى (ممن تولى الدفاع عن أهل العاصمة بعد الاحتلال وألف مع حمدان خوجة وغيره لجنة وطنية لتقديم العرائض والشكاوى والاتصال بالصحافة والشخصيات الفرنسية للعمل على جلاء القوات الفرنسية واستقلال الجزائر. وانتهى به الأمر إلى السجن في عنابة والوفاة فيه. وكانت للعائلة أملاك وثروات وسمعة فضاعت كلها ونددت مع الاحتلال. فاستولى الفرنسيون على قصرهم، وحولوا بعض أملاكهم إلى مكان للمكتبة العمومية والمتحف. وكان المؤلف معروفا باسم الأمير مصطفى، وكان متميزا بمظهره التركي الكرغلي. وقد آلت بعض أملاكه سنة 1859 إلى عائلة) فيالار (الفرنسية، وفي 1863 انتقلت إلى غيره. وهكذا كانت عائلة الأمير مصطفى قد رهنت أملاكها عند الأروبيين، وعندما عجزت عن الدفع لفقرها انتزعت منها الأملاك عن طريق المحاكم "[45].

كانت بطلة الرواية هي زهرة الأنس والبطل هو ابن الملك، الذي يغلب على الظن أنه هو الأمير مصطفى نفسه أو والده"[46] ، واشتملت الرواية على عدة شخصيات أخرى ذكرناها في مكانها.

ولغة الرواية أقرب إلى الفصحى منها إلى الدارجة. وفيها النثر وهو الغالب وكذلك الشعر. وهي تستمد روحها من الأساطير الشعبية ومن ألف ليلة وليلة. وفيها نصوص ورموز سياسية، ليس فقط عن الجزائر ولكن عن العائلة أيضا. وفيها أوصاف للحياة الاجتماعية قلما توجد في غيرها. وإلى جانب الشعر تقوم الرواية على الإنشاد والموسيقى واللهو والإدمان على الخمر ونحو ذلك من علامات اليأس والتدهور بعد الاحتلال. وتعتبر (حكاية العشاق) من المسرحيات العربية المبكرة حسب بعض النقاد"[47] .

2- أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب

توصل الناقد عبد الله ركيبي إلى إدراج العمل في مجال القصة الشعبية، وانطلق في هذا التحديد من الآتي :

1 من المحتوى حيث لاحظ تقارب النسيج الدرامي بينها وبين ألف ليلة وليلة "لأن فيها بعضا من نماذجها[48]"

2 من العنوان الذي هو مستمد من التراث العربي القديم،و"يدل العنوان على الشخصيات أو الأماكن أو البرنامج السردي، فهو يختصر سلفا المغامرة[49]"

3 مفهوم الشخصية ورسمها وإعطاءها الأبعاد الفنية الكفيلة بكشف عالمها وتناقضاتها ونوازعها، يدخل أيضا في هذا المجال.

4 من دور الشعر في القصة الشعبية " وهي خاصية معروفة في القصة الشعبية تتمثل في الاستشهاد بالشعر، إما للإفصاح عن العواطف أو المشاعر أو لتأكيد الغرض وقد جاء شعر القصة عاميا بسيطا[50] ."

5 . ظاهرة التكرار مثل تكرار بعض الكلمات والجمل والعبارات التي هي أقرب إلى أسلوب الحكواتية في مجالس السمر .

6 . إسناد الحديث إلى راوي يطلق عليه صاحب الحديث على عادة القصص الشعبي

7. ضعف تقنية التسلسل حيث يظهر القفز من حادثة إلى أخرى، ومن فكرة إلى أخرى دون سابق إنذار.

8 . العفوية والتلقائية التي تتجلى في لا منطقية السرد، والربط بين الأحداث"[51].

3- أراء نقدية حول الكتاب

أشار إلى هذا الأمر الباحث الطيب ولد العروسي مدير مكتبة معهد العالم العربي بباريس في مقال له نشرته إحدى الصحف التي تصدر في لندن، ليدحض به ماكان شائعاً بأن رواية (زينب) هي أول رواية عربية، مشيراً إلى أن الرواية المكتشفة تحترم البنى وأساليب السرديات التي كانت سائدة آنذاك، وأنها حُققت وأعيد نشرها عام 1982 في الجزائر، لكنها لم تجد اهتماماً تستحقه، وبذلك يكون مقاله ذاك رفعاً للحيف الذي لحق بتلك الرواية، ونفضاً للغبار عن رواية رائدة لم تنل مانالته رواية (زينب) .

وقد أشار أيضاً إلى أن مؤلف (حكاية العشاق) مثال ساطع على التأثر والتأثير بالثقافة الفرنسية، إذ لم يكن يكتب في العالم العربي إلا مايتعلق بأمور الدين والشريعة والشعر، وبهذا طلعت تلك الرواية من خلال احتكاك كاتبها بعالم كانت الرواية فيه قد بلغت شأواً مزدهراً .

كما أشار أيضاً إلى أن الطبعة الثانية من تلك الرواية قد صدرت مؤخراً في بيروت عن (دار الغرب الإسلامي) ضمن الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله ضمن سلسلة (تحقيق التراث) المجلد الرابع عشر .

وإذا رجعنا إلى اختلاف النقاد ومنظري الرواية العربية فيماسبق، فسنجد أن محمد يوسف نجم ذهب إلى أن أول محاولة كبيرة في القصة الاجتماعية كانت على يد سليم البستاني (الهيام في جنان الشام) 1870م، بينما أكد منصور قيسومة أن المرحلة الأولى من تاريخ الرواية العربية بدأت مع ظهور (علم الدين) لعلي مبارك سنة 1882 ، في الوقت الذي

يذهب جابر عصفور إلى أن أول رواية عربية هي (غابة الحق) لفرنسيس المراش سنة 1865 ، وبعد أربع سنوات من اكتشاف جابر عصفور لأول رواية عربية يأتي حلمي النمنم باكتشاف آخر وهو رواية (غادة الزهراء) لزينب فواز سنة 1899.

وذهب محمد سيد عبد التواب إلى أن أول رواية عربية هي رواية (وي ...إذن لست بإفرنجي) لخليل أفندي الخوري، وقد حصل على طبعتها الثانية، وكانت تلك الطبعة قد صدرت عام 1860م، وهو بهذا الاكتشاف جعلها تتصدر قائمة الروايات العربية بغير منازع"[52].

وتذهب آراء الكثيرين إلى أن رواية زينب أول رواية عربية، وهذا ماكان في المرحلة الأخيرة، أما الآن فقد كان الاكتشاف مفاجئاً، فلم تعد (زينب) أول رواية عربية وإنما (حكاية العشاق في الحب والاشتياق) لكاتبها محمد بن إبراهيم.

وإن كان يرى الطيب ولد ألعروسي مدير مكتبة معهد العالم العربي في باريس أن مع اكتشاف رواية "حكاية العشاق فى الحب والاشتياق" لمؤلفها الجزائري محمد بن إبراهيم (1806- 1886) والتي كتبها عام 1847، أن قناعات مؤرخي الرواية العربية اهتزت بالفعل؛ ففي حين كان يرى المؤرخون أن تاريخ الرواية العربية يبدأ بصدور رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل عام 1913، يأتي اكتشاف السنة التي صدرت فيها رواية محمد بن إبراهيم "حكاية العشاق" وهي سنة 1847 كي يقلب معطيات نشأة تاريخ الرواية العربية ويغيّر وجه المكتبة العربية باعتبارها الرواية العربية الأولى بدلا من رواية زينب لمحمد حسين هيكل التي صدرت سنة 1914" [53].

المحاضرة الخامسة

إلياذة الجزائر مفدي زكرياء

a. التعريف بصاحب الكتاب:

ولد الشيخ زكريا بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، المعروف بـ «مفدي زكريا» يوم الجمعة 12 يونيو 1908م بـ «بني يزقن، ولاية غرداية بالجزائر». نشأ في عائلة جزائرية محافِظة أصلُها من الأبيض سيدي الشيخ — غرب ولاية البيض. دخل الكتاتيب، وتعلَّم القرآن الكريم وأساسيات اللغة العربية.

لقَّبه زميل البعثة الميزابية والدراسة الأستاذ سليمان بوجناح بـ «مفدي»، فأصبح لقبه الأدبي مفدي زكريا. استعار في بداية مشواره الأدبي أسماء أدبية مختلفة: أبي فراس، ابن تومرت، فتى المغرب ...

تنقَّل رفقةَ أسرته إلى مدينة عنابة، ثم رحل إلى تونس وأكمل دراسته بمدرسة السلام والمدرسة الخلدونية ومدرسة العطارين، ثم الزيتونة التي نال بها شهادة التأهيل، وعاد بعد ذلك إلى الجزائر، وكان له دور كبير في إثراء المشهد الأدبي والسياسي. انخرط في صفوف الشبيبة الدستورية التونسية، ثم انضم إلى الحركة الوطنية الجزائرية، وناضل بداية من الثلاثينيات في صفوف جمعية «طلبة شمال إفريقيا المسلمين» و«نجم شمال إفريقيا» و«حزب الشعب» و«الانتصار للحريات الديمقراطية» ثم «جبهة التحرير الوطني».

تعرَّف على العديد من الشخصيات الوطنية والعربية عندما كان مقيمًا بتونس. لازم أبا العربي الكبادي، ورمضان حمود، وأبا القاسم الشابي.

وظَّف مفدي زكريا في المجال الإعلامي رصيدَه الثوري عندما تولَّى رئاسة تحرير جريدة «الشعب»، لسان حال حزب الشعب في سنة ١٩٣٧م.

سُجن عدة مرات بسجن بربروس (سركاجي)، وبعد قضائه مدة ثلاث سنوات فرَّ إلى المغرب، ثم إلى تونس، وأصبح سفيرًا للقضية الجزائرية.

ساهم في تحرير جريدة المجاهد إلى غاية الاستقلال، وكانت له إسهامات عبْر العديد من المقالات القيمة في صحف وجرائد عربية رائدة، منها جريدة «الأخبار» و«الصواب» التونسيتان و«اللواء» المصرية.

بعدما كتب النشيد الرسمي «فداء الجزائر»، ونظم النشيد الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية «قسمًا» الذي لحَّنه الأستاذ محمد فوزي، كتب مفدي زكريا «إلياذة الجزائر» التي هي محل بحثنا، استطاع بكتاباته وأشعاره ونضاله السياسي والثقافي أن يُعرِّف بقضية شعبه في العالم العربي، ويدعو إلى الوحدة العربية في مواجهة القوى الاستعمارية والتكتلات الإقليمية.

له العديد من المؤلَّفات، أخص منها: «تحت ظلال الزيتون» (ديوان شعر) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٦م، «اللهب المقدس» (ديوان شعر) صدر في الجزائر عام ١٩٦١م، صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٧٣م، «من وحي الأطلس» (ديوان شعر) ١٩٧٦م، وله عدد من القصائد الشعرية الوطنية: «من جبالنا طلع صوت الأحرار» سنة ١٩٣٢م، و«فداء الجزائر روحي ومالي» سنة ١٩٣٦م، و«اعصفي يا رياح»، ونشيد جيش التحرير الوطني، ونشيد العمال ونشيد الطلبة"[54].

وقد كان لمؤسسة مفدي زكريا بولاية غرداية فضلُ جمع التراث الفكري والأدبي للشاعر.

نال مفدي زكريا العديد من الاستحقاقات والتشريفات، من بينها: "وسام المقاوم من رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد في سنة ١٩٨٧م»، و«وسام الأثير من مصف الاستحقاق الوطني من رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة في سنة ١٩٩٩م»، و«وسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من عاهل المملكة المغربية سنة ١٩٦١م»، و«وسام الاستحقاق الثقافي من الحبيب بورقيبة، رئيس الجمهورية التونسية"[55].

تُوفِّي الشاعر مفدي زكريا — رحمه الله — يوم الأربعاء ١٧ أغسطس ١٩٧٧م الموافق لـ ٢ رمضان ١٣٩٧هـ بتونس، ونُقل جثمانه إلى الجزائر ليُدفن بمسقط رأسه بعد عطاء ثري ونضال وفي.

b. موضوع الإلياذة

موضوع إلياذة الجزائر موضوع ملحمي، يروي تاريخ الجزائر وأهم البطولات التي خلَّدها أبناؤها، والواضح أنَّ طريقة إلقاء الإلياذة بتلك الصورة الإبداعية والحماسية في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي سنة ١٩٧٢م بالجزائر ونمط تركيبها واستعمال مفدي زكريا للمحسنات عوامل أعطت الإلياذة رونقًا أدبيًّا وجرسًا موسيقيًّا يثير في النفس عزَّة الروح الوطنية، ويربّي فيها قوة الارتباط بأمجادها وتاريخها وبطولاتها، وهي في حد ذاتها رسالة قوية قوة القضية الجزائرية عبْر التاريخ، ترسم في أبياتها معالم الدولة الجزائرية المعاصرة وأصالة مبادئها الإسلامية والعربية والأمازيغية.

إلياذة الجزائر، ديوان شعر، أرَّخ لتاريخ الجزائر، واجتهد في إزالة ما علِق به من شوائب، في صورة ملحمةٍ"[56] تتبع حركة وأحاسيس جياشة.

وقد اشترك في ضبط نسجها التاريخي كلٌّ من مفدي زكريا الذي كان مقيمًا حينها بالمغرب، ومولود قاسم نايت بلقاسم الذي كان بالجزائر، وعثمان الكعاك من تونس. برزت

الفكرة الأولى لنظم الإلياذة من قِبَل الأستاذ مولود قاسم — رحمه الله — الذي راوده مشروع الإشادة ببطولات هذا الوطن ومقوّماته الدينية والثقافية والتاريخية في شكلِ ملحمةٍ خلال الملتقى الخامس للفكر الإسلامي الذي أُقيم بوهران سنة ١٩٧١م، طلب من خلالها من الشاعر مفدي زكريا كتابتها تحضيرًا للملتقى السادس، الذي كان مقررًا أن يُقام في قاعة المؤتمرات لقصر الأمم بالجزائر العاصمة.

ويا مُلتقى فِكرِ إسلامنا ومجلى قداسةِ إيماننا

ويقول في بيتٍ آخر:

سلامٌ على مهرجان الخلود سلامٌ على عيدِك العاشر

كان مولود قاسم يراجع مادة الإلياذة التاريخية، ثم يقوم الأستاذ عبد المجيد غالب بخطِّها.

تتكوَّن الإلياذة من ألفِ بيتٍ وبيت، تغنَّت بأمجاد الجزائر وحضارتها ومقاوماتها لمختلف الأمم المستعمِرة والمغتصِبة التي تدافعت عليها. أُلقيت بداية الإلياذة، وكان عددها ستمائة وعشرة أبيات، في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي أمام جمْعٍ غفيرٍ من المؤتمرين، حضر لاستماع بعضٍ منها رئيس الجمهورية الراحل هواري بومدين — رحمه الله.

اقترن إلقاء الإلياذة بالاحتفالات المخلِّدة للذكرى العاشرة لاسترجاع السيادة الوطنية، والذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر والمدية وملیانة على يد بلكين بن زيري.

ركَّزت الإلياذة على أهم المحطات التاريخية التي صنعت الجزائر، وبطلها ليس من وحي الخيال، وليس من أوهام وإبداعات الأسطورة، ولا من قبيل الرواية الشعبية المتواترة، ولا وجهَ للشبه فيها لإلياذة هوميروس ... إنما البطل فيها هو الشعب الجزائري في أوج تطوره

وتنوُّع مشاربه العقدية والتاريخية والثقافية، عبْر فترات تاريخية يمكن إجمالها بداية من العصور القديمة إلى العصر الوسيط، وصولًا إلى العصر الحديث والمعاصر، ومحرِّك البطولة فيها هو مقوماته الإسلامية والأمازيغية والعربية، ودافع رفض الاستعمار والاستعباد في شتَّى صوره وأشكاله. لا مجالَ للتذكير أنَّ التَّاريخ رغم تقسيماته، هو وحدةٌ متواصلة وممتدة لا تصنعه الأمم المغيرة، ولا الدول المستعمرة، ولكن تصنعه الشعوب المقاومة والمكافحة من أجل صد العدوان في سبيل الحفاظ على مقوماتها واستعادة كرامتها وحريتها وسيادتها.

تختلج الدراسة التاريخية للإلياذة مسحة دلالية، أسهمت بشكل واضح وقوي في إعطاء الإلياذة حركية بطولية ورونقًا بلاغيًّا أضفى عليها حُلةً جميلةً منمَّقةً بجميل الطبيعة، ومزينةً بعبق التاريخ الذي لازم الألفية بطولة وأخلاقًا.

c. الجانب الجمالي في الإلياذة

يحمل التصوير الجغرافي دلالةً جمالية منبعُها الوصف الطبيعي، ودلالةً تاريخية مصدرَ طمعِ الأممِ المستعمِرة من الفينيقيين والقرطاجيين والرومان والوندال والبيزنطيين والإسبان والفرنسيين.

جزائرُ يا مطلع المعجزات ويا حُجَّةَ اللهِ في الكائنات

ويا بسمةَ الرَّبِ في أرضه ويا وجهه الضاحك القسمات

ويا لوحة في سجلِّ الخلود تموج بها الصورُ الحالمات

تتجلَّى عبقرية مفدي زكريا في الجمع بين الدلالتين الجمالية والتاريخية في البيتين الأُخريين من المقطع الأوَّل للإلياذة:

وألقى النهاية فيها الجمال فهِمْنا بأسرارها الفاتنات

وأهوى على قدميها الزَّمان فأهوى على قدميها الطغاة

وعن العقيدة قال عنها مفدي زكريا:

شربتُ العقيدة حتى الثُّمالة وأسلمتُ وجهي لرب الجلالة

كانت مقتضيات العقيدة الإسلامية حاضرة بقوة في شعره؛ فها هو يربط بين جَمال أرض الجزائر الخلاب، وبين الإيحاء الذي يتركه هذا التفكُّر في الجمال من إيمان واعتقاد يجلي في النفس تسليمًا جازمًا بالربوبية والاهتداء إلى سواء السبيل.

فلولا جمالك ما صحَّ دِيني وما أن عرفت الطريق لربي

في مجال التفكُّر والاعتبار، يمكن لنا الاقتباس على عموم المقصد لا خصوص التنزيل، قول الله تعالى: **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** (سورة الحج الآية: 46).

البطولة

لازمت البطولة أبيات الإلياذة، واتخذت من العامل الزماني والمكاني والبشري والحيواني سرَّ تنوُّع وقوة، أضفى على عمله الأدبي والتاريخي حركية وجاذبية، ليست البطولة من وحي الخيال، وإنَّما واقع تاريخي لأمةٍ مجاهدةٍ تحدَّت أقوى الاستعمارات القديمة والحديثة.

هوميروس أرَّخ ... لم ينتقد *** وشهْنامة الفرس بالوصف تغلو

فقلت: وشِعر الخرافات يفنى*** وشِعر البطولات لا يضمحل

وما ورد في الإلياذة من ذكْر للأسطورة فمن جانب البلاغة في المعنى، والقوة في بيان البطولة التي أصبح ذكرها متواترًا على مرِّ الأزمنة والعصور.

ويا للبطولات تغزو الدُّنا وتمنحها القيم الخالدات

وأسطورة رددتها القرون فهاجت بأعماقنا الذكريات

ومن قوة الإلياذة ذِكر بطولات كل المناطق الجزائرية باختلاف مواقعها وتضاريسها، ولم يخص منطقة من الجزائر دون غيرها، ولا مقاومة دون غيرها.

فيا أيها الناس هذي بلادي ومعبد حبي وحُلم فؤادي

وإيمان قلبي وخالص دِيني ومبناه في ملتي واعتقادي

بلادي أحبك فوق الظنون وأشدو بحبك في كل نادي

عشقتُ لأجلك كلَّ جميل وهِمْت بحبكِ في كلِّ وادي

قِيَم الإلياذة

يمكن تقسيم أبيات الإلياذة من حيث الموضوع إلى قيم جمالية وتاريخية ووطنيَّة.

فالقيم الجمالية تشمل ذلك الوصف الشاعري لجمال التَّضاريس الطبيعية والتَّغني بأفنانها وغاباتها وبمواقعها الأثرية وبمناطقها السحرية، وما يتخلل كل ذلك من خواطرَ نفسية، منها قول الشاعر مفدي في المقطع الأول:

ويا تربة تاهَ فيها الجَلال*** فتاهت بها القمم الشامخات

وألقى النهاية فيها الجمال *** فَهِمْنا بأسرارها الفاتنات

وإذا أحصينا نجد 290 بيتًا تُذكر فيها القيم الجمالية؛ أي بنسبة 28.98٪ من مجموع الإلياذة.

أما القيم التَّاريخية فهي تلك الوقفات التاريخية والعوامل الزمنية والمكانية التي صنعت تاريخ الجزائر، كما تتضمن ذِكر الأعلام والمعارك والمدن في جانبها التاريخي، ومنها قول صاحب الإلياذة:

وهال ابن رستم ألا نسود ونبني كِيانًا لنا مستقلا

فقام بتيهرت يُعلي اللواء ويُرسِي نظامًا وينْشر فضْلا

يُقدَّر عدد الأبيات الحاملة للقيم التاريخية 428 بيتًا؛ أي ما يُعادل42.72٪ من مجموع الإلياذة، وهي أعلى نسبة من حيث إحصاء القيم.

أما عن القيم الوطنية فهي كل تجليات القيم التي تصنع شخصية الجزائر، وهي الإسلام والأمازيغية والعروبة، ومبادئ الدفاع عن حق الشعوب في تقرير مصيرها، وآفاق الوحدة المغربية، وحُلْم تحرير فلسطين المغتصبة، كما تشمل الأخلاقَ والطِّباع والمواقف البطولية، والفكر ومناهج السياسة والاقتصاد والاجتماع. يقول مفدي زكريا في المقطع 79:

تفسَّخ هذا الشباب وماعا *** وخرَّب أخلاقه وتداعى

فويل الجزائر والمسلمين إذا*** دنَّس النشء هذي الطِّباعا

المحاضرة السادسة

ديوان محمد العيد آل خليفة

1. التعريف بصاحب الكتاب

محمد العيد آل خليفة "حمو علي محمد العيد:"

من مواليد 1904.08.28 :بعين البيضاء من عائلة دينية محافظة متصوفة تنتمي إلى الطريقة التجانية تنحدر أصلا من بلدة كوينين من ولاية واد سوف، حفظ القرآن الكريم وأصول الدين عن علماء البلدة، انتقل إلى تونس) جامع الزيتونة) للتحصيل، تولى إدارة مدرس الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة في 1927 م لمدة 12 عاما و غيرها من المدارس الأخرى، و في هذه الفترة اسهم في تاسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و بعد اندلاع الثورة الكبرى اعتقلته السلطات الفرنسية، ووضع تحت الإقامة الجبرية في بسكرة . كان كثيرا ما يتردد على موطنه الأصلي بواد سوف و الزاوية التجانية بتماسين وقد مدح الشيخ الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني التجاني رحمه الله بقصيدة محفوظة ومكتوبة في الزواية وهي بعنوان فزت بالمنى يقول في مطلعها:

أيا زائرا هذا الحمى فزت بالمنى، فثق فيه بالبشرى ودع كل تخمين

لقد جئت باب الله من غير مرية، ومن جاء باب الله خص بتأمين

هنا وارث الختم التجاني رتبة، خليفة الأرض علي التماسيني

كان يلقب بـ: شاعر الشباب، شاعر الجزائر الحديثة، شاعر الشمال الإفريقي،...

من آثاره: أنشودة الوليد، رواية بلال بن رباح (مسرحية شعرية)، ديوان محمد العيد.

توفي عام1979 م بباتنة و دفن في بسكرة.

2.أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.

يبدو أن محمد العيد لم يكتب شعرا كثيرا أثناء إقامته الجبرية، وعلى كل حال فهو لم ينشر شعرا أثناء هذه الإقامة التي نجهل حتى الآن متى بدأت، ولم يهرب قصائده الثورية إلى الخارج، كما فعل مثلا مفدي زكرياء، وهناك من يقول إنه قد نظم (ملحمة الثورة) أثناء اعتقاله ولكنه لم ينشرها إلا بعد الاستقلال، وهي الملحمة التي نشرتها مجلة (المعرفة) في سنواتها الأولى على حلقات.

نشرت جريدة البصائر في العاشر من يونيو (جوان) 1955، خبرا مفاده أن (أمير شعراء الجزائر التقي الورع الشيخ محمد العيد) قد قبض عليه في عين مليلة، ومع هذا الخبر صورة تذكارية للشاعر وهو يلقي إحدى قصائده وخلفه صورة لابن باديس، ولكن الصورة نشرت بعيدة عن الخبر.

وحسب البصائر فإن هناك تهمة ملفقة وجهت إلى الشاعر (سداها النذالة ولحمتها الخسة)، وزج به في السجن رهن التحقيق، و (قد ضجت البلاد الجزائرية كلها من هذا الحادث المؤلم .. وقام مكتب جمعية العلماء فورا بواجبه حيال هذا العدوان الصارخ .. واحتج .. وطالب بالإفراج على الشاعر الإسلامي العظيم ...) وأشارت إلى أن عددا من النواب والشيوخ (لعلها تقصد شيخ النواب) والشخصيات الإسلامية وبعض العقلاء من رجال الإدارة العليا طالبوا بغاية الإلحاح بسراح الشاعر.

تعرضنا إلى حياة محمد العيد في أكثر من مكان من كتبنا، فمن أراد أن يرجع إليها فليفعل، أما هنا فيهمنا شعره روما طرأ على حياته خلال الثورة.

هنأ محمد العيد المغرب بعودة السلطان ظافرا وبالوعد بالاستقلال، ونشر قصيدته الجميلة في البصائر سنة 1955، وهي التي مطلعها:

أطل البدر وضاح الجبين ... فعم الأفق بالنور المبين

وعاد إلى مطالعه مشعا ... كأن لم ينأ عتها منذ حين

فقل لقوافل الأحزاب سيري ... على إشعاعه وبه استعيني

وقل للمغرب الأقصى هنيئا ... لقد شرفت بالعلق الثمين

بدا استقلالك الموعود فاحمل ... وظائفه وخذها باليمين

كما عرفنا أنه نشر قصيدة نجهل موضوعها في يناير 1955 أي بعد شهرين فقط من انطلاق الثورة دون أن نعرف موضوعها" [57]،وأثناء إقامته الجبرية في بسكرة نظم قصيدتين غير منشورتين إلا في ديوانه بعد الاستقلال، وفيهما قليل من السياسة وكثير من المناجاة الحزينة والشكوى من حاله، مع الأمل الذي لا يفارقه في حصول بلاده على حريتها، الأولى مناجاة الطائر أبي بشير والثانية مناجاة جبل أبي منقوش، وقد نظم هذه في سنة 1959، أما الأولى التي لا نعرف لها تاريخا فقد توقع فيها قرب إطلاق سراحه وتحرير الشعب رغم الضحايا والشهداء:

جزمت بقرب إطلاق الأسير ... غداة سمعت صوت (أبي بشير)

أناجيه بآمالي وحالي ... وأستفتيه عن شعبي الكسير

كما ناجى الأمير أبو فراس ... حمامته بشعر مستثير

فقال لقد أتيتك من بعيد ... فاصغ إلي وأرو عن خبير

كما أصغى سليمان قديما ... إلى أنباء هدهده الصغير

سيحمد شعبك العقبى قريبا ... ويحرز نصره بيد القدير

ويشهد بعث دولته فيرض ... ويحظى بالهلالي المنير

فليس لأمة بالحق ثارت ... مصير غير تقرير المصير

والقصيدة بدون تاريخ ولكن يبدو أنها نظمت في الأيام الأخيرة للثورة، وهي منشورة في الديوان.

ومهما كان الأمر فإنه أثناء الإقامة الجبرية سمع الشاعر صوت طائر يدعى (أبا البشير) فناجاه الشاعر وطارحه أحواله على غرار ما فعل أبو فراس الحمداني مع حمامته، وتوقع الشاعر قرب إطلاق سراحه تفاؤلا بصوت هذا الطائر الذي يتفاءل به المتفائلون كما تفاءل بقرب انتصار الثورة وتحرير الشعب الجزائري كله، رغم الضحايا والشهداء، وقد قارن الشاعر أبا البشير بالهدهد وتخيل نفسه سليمان، ورغم ما فيها من مقارنات وإشارات تاريخية وتفاؤل ورقة في التعبير فإنها دون شعر محمد العيد الإصلاحي، فما بالك بالشعر الثوري، فقد اكتفى فيها بالرموز والكنايات واللغة البسيطة" [58].

ولكن هل نشر محمد العيد بعض القصائد السياسية وهو في الإقامة الجبرية؟ يبدو ذلك، فإذا كان قد دخل الإقامة الجبرية في سنة 1955 فإن قصيدته في تهنئة السودان بالاستقلال تكون قد نظمت وهو في بسكرة سنة 1956، ولم يفته التبشير فيها بحرية الجزائر واستقلالها، ومما جاء فيها بالخصوص:

فوز سرت بحديثه الركبان ... فالشرق مغتبط به جذلان

ما أسعد السودان باستقلاله ... فاليوم يرفع رأسه السودان

من مبلغ السودان عنا أننا ... شيع له بشعورنا خلان

نتبادل القبلات باستقلاله ... فرحا وإن طافت بها الأحزان

متسائلين عن الجزائر هل دنا ... تحريرها أم حظها الحرمان

ومتى تقرر كالشعوب مصيرها ... فقد اقتضى تقريره الإبان

ومتى تفوز بنعمة استقلالها ... فقد استقلت دونها الأوطان"[59] .

3.أراء نقدية حول الكتاب

يبقي اسم محمد العيد آل خليفة خالدا في سجلّ الأمجاد الجزائرية، وتبقى حروفه مشرقة على مدى الأيام كالدّرر تتوسط تيجان الحرية؛ ويكفي أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يشهد له بأن شعره "رافق النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل ناحية من نواحيها، وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها، القصائد الغرّ والمقاطع الخالدة، فشعره سجل صادق لهذه النّهضة، وعرضٌ رائع لأطوارها"[60].

أما مالك حداد فقد عرفه عاشقا للعربية محبا لعلومها، تهفو إليه أضواء الشهرة فيعفّ، وتصبو إليه أمجاد الدنيا فيختار سعة الآخرة، حتى أنه قال فيه:

.. هو الملهم، وهو "المشعل".. يعرف جيّدا أن الكلمات في القصيدة لا تساوي شيئا، وأن سحر الشعر أن يكتفي بذاته، فالوردة لا تفسّر عطورَها، والنجوم لا تعرف أسماءَها.. بقدر ما هو حقّ أن الشعر يحملنا حتى إلى الكلمة الأزلية.. إلى أقصى ذلكم السكوت الذي يعرف كيف يحدثنا جيدا

وللشيخ الطيب العقبي شهادته العزيزة في حقّ شاعرنا الكبير، فقد وقف على رأس الأشهاد يوم ألقى محمد العيد قصيدة "استوح شعرك"[61] ، وقال: "تعلمون أنني لم أقبل رأس مخلوق في حياتي، غير أنني قبلت هذا الأسبوع رأس شاب أجاد فنّ الخطابة هو الفضيل الورتلاني،

واليوم أقبّل رأس شاب آخر نبغ في فنّ الشعر حتى وصل الغاية منه وهو الأستاذ محمد العيد»..وهي القصيدة نفسها التي تحدث عنها فرحات بن الدراجي في مقال نشره عن المناسبة، قال فيه: «كان للقصيدة تأثير كبير في نفوس الحاضرين، فبكى الناس وبكى الشاعر معهم.. هذه أول مرّة شاهدت فيها شاعر العروبة والإسلام في الجزائر يَبكي ويُبكي"[62].

إن للشاعر محمد العيد آل خليفة مكانته المرموقة بين العلماء الأجلاء، والشعراء المفوّهين، إذ لا يمكن التأريخ للشعر الثوري بالجزائر والوطن العربي دون الاستفتاح باسمه، كما لا يمكن إغفال منصبه العلمي المرموق في علوم اللغة، إذا وضعنا في اعتبارنا أن محمد العيد انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بدمشق في 1972، ولكن صفة الشاعر وحدها هي التي تلازم اسم محمد العيد.

ويعترف الدكتور عبد الله ركيبي أن محمد العيد كان "صوتا فريدا متميّزا في التعبير عن الحركة الإصلاحية وأهدافها، وسياستها وتوجهها، واستطاع أن يطبع القصيدة العربية في هذا الاتجاه بطابع خاص.. وضوح في الرؤيا وثبات في المواقف"[63].

أما الدكتور شكري فيصل، الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق، فقد نوّه بشاعر الجزائر، وأشاد بشعره، فقال:

«من الصعب أن نتحدث عن الالتزام الفكري وحده، وعن الانتاج الفنيّ وحده، وعن الحدود النفسية وحدها، إن كل ذلك متصل متشابك، معقّد، يقود بعضه إلى بعض، ويتكامل بعضه مع بعض ليؤلف هذا النسيج الذي اسمه في أذهاننا وصورته في عيوننا محمد العيد، ليكون هذا الإنسان المكافح والشاعر، أو هذا الشاعر الإنسان المكافح (...) الإنسان الذي التزم في الشعر لخير الجزائر ونهضتها والذي عرف رأي القرآن في الشعر عن طريق المفهوم النقيض وأنهم ألئك الذين يقولون ما يفعلون"[64].

إن شعر محمد العيد آل خليفة إنما تنزّل سلسلا عذبا حبّا في الجزائر، وإيمانا بعدالة قضية الجزائريين، فقد انطلق كما يقول مصطفى بلمشري "من صميم المجتمع ثورة وجهادا من أجل تحطيم قيود الاستغلال، فنفخ في شعبه لهيب الوطنية فثار لاقتلاع جذور الطغيان وتطهير الأرض الزكية من رجس العدوّ"؛ وإن شعره سيبقى منارة هدى للأجيال، وجذوة محبّة تتوّقد في قلوب الأحرار والشرفاء.

المحاضرة السابعة

عيون البصائر البشير

1. التعريف بصاحب الكتاب

ولد البشير الإبراهيمي يوم الخميس 14 شوال 1306هـ الموافق 13 يونيو/حزيران 1889م، في قرية رأس الوادي بالشرق الجزائري ونشأ في عائلة عريقة في العلم.

بدأ في حفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمره على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، الذي كان له الفضل الأكبر في نشأته وتربيته. في التاسعة من عمره أتم حفظ القرآن، وحفظ ألفية ابن مالك وابن معط الجزائري، وألفيتي الحافظ العراقي في السير والأثر، وبعد وفاة عمه تولى تدريس طلبته وهو في الرابعة عشرة من عمره، وظل على ذلك حتى بلغ العشرين.

في أواخر 1911 هاجر إلى المدينة المنورة على إثر والده متخفيا، خوفا من بطش الاحتلال الفرنسي، ومر في طريقه بالقاهرة وحضر فيها عدة مجالس علم في الأزهر.

بعد وصوله المدينة المنورة لازم كلا من الشيخ العزيز الوزير التونسي، والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، وعلى أيديهما استزاد من علم الحديث رواية ودراية، ومن علم التفسير على يد الشيخ إبراهيم الأسكوبي، وهناك التقى بالعلامة عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الإصلاحية بالجزائر"[65]

المؤلفات

ترك البشير الإبراهيمي العشرات من المؤلفات منها "شعب الإيمان"، و"حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام" و"الاطراد والشذوذ في العربية"، و"أسرار الضمائر العربية" و"كاهنة الأوراس"،

و"الأخلاق والفضائل"، وغيرها. جمعت مقالاته بمجلة البصائر في كتاب "عيون البصائر". وله "ملحمة شعرية" في تاريخ الإسلام، تضم نحو 36 ألف بيت.

الوفاة :

توفي البشير الإبراهيمي في منزله، وهو رهن الإقامة الجبرية يوم الخميس 20 مايو/آذار 1965.

2. أهمية وقيمة الكتاب

إنّ المتتبع لجهود الإبراهيمي يجد أنّه أسهم في إثراء الحياة الأدبية عن طريق العديد من الآثار التي خلّفها وراءه في شتى المجالات، فقد خلَّف إنتاجاً غزيراً يشهد أنه، بحق، مدرسة كاملة، بل فلتة من فلتات هذا الزمان، كما كان ينعته كبار المفكرين والأدباء العرب والمسلمين ، ومن آثاره «عيون البصائر»، و«الاطراد والشذوذ في اللغة» و«أسرار الضمائر العربية» و«التسمية بالمصدر» و«كاهنة أوراس» و«رسالة العنب» و«فصيح العربية من العامية الجزائرية» و«أرجوزة» في 36 ألف من أبيات الشعر، ضمّنها تقاليد الشعب الجزائري وعاداته، وأما مقالاته، فإنها قد جمعت فكونت خمس مجلدات قاربت صفحاتها 2500 صفحة.

أما أسلوبه في الكتابة، فهو جاحظ عصره، وبديع زمانه، مما جعله بحق، معجزة من معجزات الثقافة العربية الإسلامية في القرن العشرين، ونماذجه في أسلوبه البليغ الأديب في مجالات مختلفة؛ تؤكد تمكّنه من أسرار البيان العربي.

3. خصائص الكتابة عند الابراهيمي[66]:

1- رُقي الألفاظ والمعاني والأساليب، ولا يتأتَّى هذا الرُّقي في نسيج الكتابة الأدبية للكاتب من الكتاب، حتى يكون ألمَّ على محفوظ غزير من النصوص الأدبية راقٍ، إذ لا يعقل أن

ينبُغ كاتب كبير وهو لا يحفظ نصوصاً أدبية كبيرة، وجمَّاع الشأن في المسألة هو ما يطلق عليه الشيخ «معرِض العربية الراقية».

2- وقد تمثَّل الإبراهيمي اللغة معرضاً قائماً في سُوق أنيقة تُعرض فيها كرائم الألفاظ، فحدَّد مواصفات هذه السُّوق الأنيقة التي ليست كأيِّ شيء من الأسواق، تُعرض فيها أي بضاعة من البضائع المُزجاة، بل هي سوق تُجلب إليها كرائم ألفاظ العربية المؤتنفة، وتُساق إليها عقائل المفردات المؤتلفة.

3- نجد الشيخ الإبراهيمي يصطنع مصطلحين اثنين في هذا المقام وهما: المأنوس والغريب، فأمَّا الغريب فهو معروف لدى الناس، وأما المأنوس فمصطلح من مصطلحات الشيخ، فاللفظ المأنوس هو الذي يستأنس له القرَّاء أو المتلقون، فتقبله أذواقُهم، ولا تنبو عنه أسماعه.

ب . النزعة الخطابية:

إن طغيان الانفعال . الذي هو انعكاس للصدق . يدفع الإبراهيمي أحياناً إلى استخدام أدوات الخطابة حتى وهو يكتب مقالة أو يلقي محاضرة، ومن ثم يلحظ أنَّ بعض تلك المقالات تحوَّلت فعلاً إلى خطب حماسية لاهبة يحشد لها الكاتب كل الأدوات البلاغية المجسِّدة لهذه النزعة، وقد يتجلَّى ذلك في مواقف تستدعي الحزم والصرامة، وتتطلب الحسم والبتر، كما جاء ذلك في مقالاته عن العرب وفلسطين، أو في مقالاته عن دور الأحزاب المتناطحة في جزائر ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ومن يتأمل مقاله الذي يناجي فيه الجزائر، وهو بعيد في ديار الغربة، يدرك أن الشاعرية قد تتحرَّك في قطعة من النثر الفني وتبلغ من النفس ما تبلغه بعض الأبيات الموزونة المقفاه. إن تلك المناجاة تعبر بصدق عن نفسية الإبراهيمي الذي خُلق شاعراً رقيق الإحساس.

إن أجلّ ما يلفت النظر في كتابات الإبراهيمي هو جرأته على مناقشة كل ما يراه صالحاً للمناقشة، مبدئياً رأيه في كل ما يمكن إبداء الرأي فيه، حيث وقف في مهرجان أحمد شوقي في أكتوبر 1958م أمام الأدباء العرب ليقول رأيه الصريح في شعر شوقي، لا تثنيه سمعة شوقي وصداه عن قول كلمة الحق، التي رأى واجبه الوطني يملي عليه قولها، ولم تشغله كلمة الحق هذه عن إشارة بمكانة شوقي وفضله على الإسلام والعربية.

ج . التهكُّم والسخرية:

من أبرز الخصائص التي تميَّز بها أسلوب الإبراهيمي ما يشيع في تعابيره من سخرية وتهكُّم، لاذعين حيناً مقبولين حيناً آخر، وتلك سمة عُرفت بها الكتابة عند كبار الأدباء قديماً وحديثاً، فلم يكن يستخدم هذا اللون من التعبير في جميع ما يكتب، وإنما هو لون يتخيره عندما يرى أن المقام يفرضه والظروف تقتضيه، سواء أكان ذلك متعلِّقاً بمناقشة قضية من القضايا أم بانتقاد شخصية من الشخصيات، حيث كان لاذع التهكم مريره، بارع السخرية رائعها، وهذه الخاصية عند الإبراهيمي، تتوزَّعها مقالاته الطويلة، ولا سيما تلك التي خصَّصها للتحدُّث عن الاستعمار الفرنسي وأعماله ورجاله، أو تلك التي يتحدث فيها عن مواقف مناوئي جمعية العلماء وغيرها، أو تلك التي يصف فيها الواقع المزري تجاه قضية فلسطين.

إن التهكُّم في مثل تلك المواقف يمتزج بالألم، والسخرية مبطنة بالأسى والأسف، ولعل خير مثال على ذلك: مقطوعة يأسى فيها حزيناً لمصير فلسطين التي ضاعت بين حكام فاسدين، ورعية متخاذلة، وعدوٍّ شرس لدود، وذلك حيث يوظف القرآن الكريم، والأمثال العربية تصويراً، وإيقاعاً في قوله: ما أضاع فلسطين إلا العرب، وقد جاءتهم النذر فتمارَوْا بها، ثمَّ حق الأمر وهو غاوون فاندهشوا، ثمَّ وقعت الواقعة فأبلسوا تعمد خطباؤهم إلى الخُطب ينمقونها وشعراؤهم إلى القصائد يزوقونها، وساساتهم إلى الدعاوي يلفِّقونها، وعامتهم إلى

الخرافات يصدِّقونها، بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد يعوقونها وإلى الأهواء ينعقونها، وقُضي الأمر وأوسعناهم سبًّا وراحوا بالإبل، وبعد أن كنا أهل فلسطين أصبحنا نقول ما قالته الجهضمية في مكة: بل نحن كنَّا أهلها.

ومن تهكُّمه المرير المضحك، تعليقه على أمسية شعرية سمع فيها بعض الشعراء الذين يدَّعون التجديد، وهم يقرؤون شعراً خرجوا فيه عن اللغة والوزن والأخلاق، ويبدو أن ذلك منه كان أواخر الخمسينيات أي مع البدايات الأولى لظهور مثل هذا الشعر، وبالقدر الذي كان تعليقه تعبيراً عن الازدراء والمَقت ؛ بالقدر الذي كان تعبيراً عن أصالة عربية إسلامية عميقة الجذور، دفعته إلى أن يرفض رفضاً مطلقاً هذا النوع من الشعر الذي رآه دخيلاً غريباً، ولم يجد له تعريفاً ولا تحديداً سوى قوله: "إن اللغة العربية على سعتها مفرداتها ناقصة لأنَّنا لا نجد فيها الكلمة أو الصفة التي يمكن أن نصف بها أمثال هؤلاء الشعراء المجدِّدين، إلا أن لي من عروبتي وغيرتي على لغتي ما يشفع لي بالاشتقاق".

د . أثر القرآن الكريم في نثره الفني:

ارتكزت الثقافة العربية عند الإبراهيمي على قاعدة القرآن الكريم الذي حفظه كلَّه عن ظهر قلب وهو في التاسعة عن عمره، ودأب على تدارسه والمتمعُّن في معانيه، وتذوُّق بيانه طول عمره، فظهر أثر ذلك كله في نفسه، وقلبه، وفكره، ولسانه، فهو بالنسبة إليه المورد والمصدر، منه يستقي وإليه يعود. ولقد دلَّت كتاباته عن القرآن على إدراك عميق لأسراره، وفهم دقيق لمعانيه، وتذوُّق قلَّ نظيره لإعجازه، ولعلَّ هذه الخاصية هي التي جعلت ابن باديس يدعوه إلى أن يخلُف رشيد رضا في إكمال تفسير القرآن على طريقة المنار.

وكان الإبراهيمي يوصي الشعب الجزائري بالعيش مع القرآن في هذا المجال، قال: أحيوا قرآنكم تحيوا به، حقِّقوه يتحقق وجودكم به، أفيضوا من أسراره على سرائركم، ومن ادابه على نفوسكم، ومن حكمه على قولكم، تكونوا به أطباء، ويكن بكم دواء.

المحاضرة الثامنة

غادة أم القرى أحمد رضا

1-التعريف بصاحب الكتاب

أحمد رضا حوحو 15 ديسمبر 29 - 1910 مارس1956 ، ناقد ساخر، يهوى الفن والتمثيل والموسيقى ويعزف على آلة العود، من مواليد 1911م ببلدة سيدي عقبة) بسكرة.

درس باللغتين العربية والفرنسية وواصل تعليمه بالمدينة المنورة مهاجرا إليها رفقة أهله سنة 1935م، تخرج من مدرسة العلوم الشرعية عام 1938م وعمل فيها بعد التخرج كما شارك في تحرير مجلة المنهل بمكة المكرمة بقصص يترجمها من الأدب الفرنسي ومقالات في مجلة الرابطة العربية المصرية. عاد إلى الجزائر سنة 1946 بعد وفاة والديه. وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين وعمل مدرسا فمديرا ثم مفتشا للتعليم.

وعيِّن مديراً لمدرسة «التربية والتعليم» التي كان الشيخ ابن باديس قد أسسها بنفسه، وبقي فيها مايقارب سنيتن، ثم انتدب لإدارة مدرسة «التهذيب» بمدينة «شاطودان» التي تبعد عن قسنطينة بحوالي 50 كيلومتر ولم يمكث فيها إلا مدة قصيرة ليعود مجدداً لقسنطينة ليشغل منصب الكاتب العام لمعهد ابن باديس. وفي 25 سبتمبر من 1946 نشر أول مقال في البصائر بعد عودتها إلى الصدور تحت عنوان (خواطر حائر). وفي سنة 1948 انتخب عضو في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. في سنة 1949 وفي الأسبوع الثاني من شهر ماي شارك في مؤتمر باريس الدولي للسلام حيث مثل الجزائر خير تمثيل، وفي 27 أكتوبر قام بإنشاء جمعية المزهر القسنطيني للمسرح والموسيقى ومن خلالها كان يعرض مسرحيات مثل: ملكة غرناطة، بائعة الورود، البخيل.

واشتغل أيضا في الصحافة فكانت له مقالات في جريدة البصائر أثارت الكثير من الجدل والنقاش بعناوين:

- ما لهم لا ينطقون؟
- ما لهم يثرثون؟

كما كتب في جريدة الشعلة الأسبوعية التي تصدر بقسنطينة بأسلوب تهكمي ساخر قصد جلب الانتباه والتأثير على القارئ.

في 29 مارس 1956 اغتيل محافظ الشرطة بقسنطينة واعتقل حوحو من منزله على الساعة السادسة مساء ذلك اليوم ليعتقل بسجن الكدية، ومنه حُوِّل إلى جبل الوحش المشرف على مدينة قسنطينة وتم إعدامه هناك. وبعد استقلال الجزائر وجد جثمانه برفقة ثمان جثث أخرى مدفونة بشكل جماعي في حفرة واحدة بوادي حميمين ليعاد دفن رفاته بمقبرة الشهداء بالخروب. كان «أحمد رضا حوحو» شهيد النضال، نضال الكلمة والوطن، حين حمل أمانة الثورة بنوعيها الاجتماعي والسياسي، وخط لأدب جزائري خاص"[67].

مؤلفاته

- غادة أم القرى) قصة طويلة 1947(
- مع حمار الحكيم) مقالات قصصية ساخرة 1953(
- صاحبة الوحي قصص 1954
- نماذج بشرية قصص 1955

دون أن نغفل جانباً مهماً في نشاطه الفكري ويتمثل في القصص القصيرة حيث يعتبر «أحمد رضا حوحو» رائد القصة القصيرة الجزائرية، فله بعض القصص، منها : «يأفل نجم الأدب»، و«ابن الوادي»، و«الأديب الأخير»، وبهذا الصدد يقول الأستاذ عبد الرحمان

شيبان: «يمتاز أدب الأستاذ حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد، فإنك لا تكاد تقرأ له فصلا منفصوله أو قصة من قصصه أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك هذا الثالوث الجميل وتبعث من نفسه الحقيقة الصادقة النافذة، فهو خفيف في كلامه، خفيف في حركته وسكونه وهو يعالج من الشؤون بكل صدق.

2- ملخص الرواية

في رواية "غادة أم القرى"[68] لأحمد رضا حوحو تتجلى شخصية المرأة المضطهدة متمثلة في الفتاة "زكية" بطلة الرواية، وفي أم جميل التي تقطعت بها الأسباب، فضعفت حيلتها، ولم تجد مخرجاً لانقاذ ابنها من غياهب السجن، ومن التهمة التي ألحقت به، ذلك أن قصة حب عاصفة نشأت بين "زكية" و"جميل" وهما من أبناء مكة المكرمة، فلا تتمكن من الزواج به، بسبب غلبة التقاليد أولاً، ووشاية "رؤوف سعد" لطمعه فيها لابنه، وهو رجل خبيث ذو جاه ومال، فألحق تهمة السكر والاعتداء بجميل، وأشهد على فعلته شاهدين من أتباعه، شهدا زوراً، فأصيبت "زكية" بصدمة عصبية عنيفة أدت بها إلى الجنون.. ثم ماتت على إثر ذلك ومات جميل جزعاً في سجنه.

والرواية تتعمد إثارة التساؤل حول سيطرة التقاليد وغلبتها، فلا تتمكن الفتاة من رؤية خطيبها، ولا محادثته، ولا الرد على الرجال إلا تصفيقاً باليد – على عادة أهل البلاد وكما يذكر الكاتب، وإعلان حبها، أو ذكر اسم حبيبها، ثم الإشارة إلى إقبال عامة الناس على السحر والشعوذة بحثاً عن العلاج حين ادلهمت الخطوب على زكية وأصيبت بالانهيار فذهب أهلها ومن حولها إلى أنها اصيبت بمس من الجان" وأصبحت لا تشتكي من شيء بقدر ماتشتكي من هذه العقاقير والرقي والتعاويذ والبخور التي يرهقونها بها، فمنذ أصيبت زكية أصبحت دار سليمان خليل ميداناً واسعاً للدجالين والسحرة، ضمن قائل: إنها مسحورة، ومن مؤكد أن

ما بها هو مس جن، ولم تجد التمائم العديدة ولا الذبائح الكثيرة لولائم الجن وملوكهم، وماذا عسى أن يفعل ملك الجن الضعيف أمام سلطان الحب الجبار."

ولكن البطلة "زكية" لا تنجو من توترها النفسي الذي وقعت فيه وأدى بها إلى شيء قاس من الخيال – كما أشار الكاتب – بل إنها تهلك بمعضلتها تلك، ولا تنجو كما تعودنا في الروايات السابقة حين يأتي البطل الحبيب المختفي فينقذ الحبيبة المأزومة، وتنفرج الأحداث بنهاية سعيدة، كما حدث في رواية "سمراء الحجازية" لعبدالسلام هاشم حافظ، حين رأي الأهل ضرورة زواج سمراء بعادل انقاذاً لها، أو زواج زكية بمحسن في رواية "لا تقل وداعاً" لسيف الدين عاشور.. فلماذا لم يجعل حوحو من البطل (جميل) الذي لم يأخذ بعداً عميقاً في الرواية منقذاً؟ ولماذا تأتي النهايات في مجملها لشخصيات الرواية غير سارة، فيسجن البطل طويلاً ولا يخرج إلا على خبر وفاة حبيبته؟! وهي وإن انتصرت للخير وألقت برؤوف سعد في السجن في الصفحة الأخيرة من الرواية إلا أن مشهد الظلم والخيبة وعدم نوال الحظ وإسعاده وسيادة المكر والخبث والخديعة جعل الرواية أبعد عن التفاؤل، وأقرب إلى تصوير المجتمع المكي الذي تحدثت عنه بأنه مكبل بقسوة المرابي رؤوف سعد ومكره، وقسوة التقاليد وتجبرها على قلب الفتاة اليانعة التي لم تنل حظاً من التعليم، واستسلام "لمصيرها المقيد بحكم المجتمع وشهوته للمال وانصياعه إلى ما توحي به العادة، وربما جاءت سلبيتها هذه من جهلها وعدم تعلمها، وبراءتها الشديدة، وفشلها في المشاركة الاجتماعية، والإسهام مع أسرتها بالرأي في قضاياهم بعامة، وقد تكون حالة الهستريا التي أصابتها بعد فجيعتها في جميل بعد أن اطمأنت إلى قرب الاقتران به تعبيراً نفسياً وحيداً عن الرفض، رفض انصياع المجتمع وتقبله للموروث من العادات دون تفكير أو تعليل أو دراسة، ورفض ما هي عليه من جهل وإظلام وبعد عن القراءة والكتابة والتعبير عن رأيها ورؤيتها حول ما يمس شخصيتها على الأخص من قرارات تتخذها أسرتها دون أن تنبس ببنت شفة، فكانت

المظاهر العصبية وفقدان العقل خير ما يعبر عن كل هذه السوءات والتردي، وبما أن العالم من حولها ليس عاقلاً، فلماذا تحتفظ بعقلها دون أن يحترمه ويفيد منه من حوله؟ فالأولى والأمر كذلك أن يذهب هذا العقل المقيد مع العقل الاجتماعي المكبل هو الآخر بأغلال متعددة من الضغينة والتسلط والمكر والشره والخنوع للسائد من التقاليد. وإذا كنا نلوم حوحو على ضعف بطلته أمام بطلة فكرة للسباعي فإننا أيضاً نعاتبه على إسرافه في تصوير البيئة الحجازية بالسوء المطلق، سوى ما بدا من إنقاذ لأسرة سليمان خليل من الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – حين اشتكت إليه أم جميل في وسط الطريق وأوقفت مسيره، والكاتب هنا يصف مشهداً رآه في الواقع مرات عديدة. ونلتمس له عذراً في غايته الشريفة التي يرمي إليها بانزاله أكبر قدر من الألم في نفوس قارئيه حين يطوق الظلم جوانب الحياة، وتطبق المأساة على الشخصيات على خلاف ابن مكة حمزة بوقري في "سقيفة الصفا" الذي كان معتدلاً في أحكامه مصوراً واقع الحياة في مكة كما كان بين سيادتي الجهل والشعودة في شخصيته الأم والوعي في حده الأدنى عند الأب، وكذلك الأمر عند حامد دمنهوري ابن مكة أيضاً في "ثمن التضحية" في شخصية الأم الجاهلة، والابنة التي لم ترض طموح الابن أحمد فيعرض عن ابنة عمه "فاطمة" لجهلها ويتعلق ب "فايزة" المصرية لتعلمها. وبموازنة يسيرة بين الصورة التي رسمها حوحو للحياة الاجتماعية في مكة والصورة التي رسمها حمزة بوقري نجد الفارق بين الصورتين في حرارة المعالجة الفنية المدفوعة بالغرض الإًصلاحي الحاد عند الأول، وبالتمكن من أدوات فن "الرواية" أي الرواية السيرية أو السيرة الروائية عند الثاني ساعياً إلى التوفيق والوصف والتدوين أكثر من سعيه إلى إصلاح خلل اجتماعي ملح وظاهر. وليس بين الصورتين سوى سنوات معدودة، فقد جرت أحداث رواية "سقيفه" بعد أحداث "غادة أم القرى" بما يقرب من خمسة شر عاماً، إذ صور أحمد رضا حوحو نمطية الحياة الاجتماعية في مكة قرب منتصف القرن الرابع عشر الهجري الماضي، وحمل على رؤية المجتمع للمرأة أنذاك، تلك الرؤية التي تذهب إلى عزل المرأة، ومصادرة خيالاتها

الحياتية بعامة، ثم عرض لفساد الطبائع، وخضوع النفوس لشهوة المال، واستذلال الفقير، على حين لم يذهب البوقري بعيداً في روايته، فقد توسع في نقل دقائق الحياة الاجتماعية في مكة، وقدم لنا وصفاً بارعاً للمأكل والمشرب، والتعليم، والعمل، والمعتقدات، والتدين، والخرافة، والرغبة في التمدين، والخطوبة، وتعليم المرأة، والفصل الحاد بين الجنسين، بحيث تكون "سقيفة الصفا" امتداداً متوسعاً متعمقاً في تتبع أيقاع الحياة الملكية في العقدين الخامس والسادس من القرن الهجري الماضي، ولم يحدث اختلاف كبير بين صورتي المرأة في الروايتين، فهي فيهما صامتة لا تنطق بل تصفق عند حوحو، وتومىء برأسها عند البوقري، وهي لا تشارك بل تسمع، ولاتبدي رأياً بل تتلقى، أو ترغم على قبول خيار الأهل، ولا تبادر ولكن تتمنى وتطمح، ومن حولها يقودها إلى ما يراد لها دون أن تبدي قبولاً مطلقاص أو رفضاً بيناً، لأنها ملسلوبة الإرادة، منشأة على ذلك، ولم تتعلم بعد كيف تسعى إلى إبداء رؤيتها حول ما يحيط بها أو تطمح إليه، بله أن تحاول تمزيق ما يكبلها من رؤى تقليدية مستلبة"[69]..

المحاضرة التاسعة
الجازية والدراويش عبد الحميد بن هدوقة الشهداء يعودون هذا الأسبوع

1. التعريف بصاحب الكتاب

ولد عبد الحميد بن هدوقة في 9 يناير 1925 بالمنصورة (ولاية برج بوعريريج). بعد التعليم الابتدائي انتسب إلى معهد الكتانية بقسنطينة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس ثم عاد إلى الجزائر ودرس بمعهد الكتانية بقسنطينة. نضاله ضد المستعمر الفرنسي الذي كان له بالمرصاد، دفعه إلى مغادرة التراب الوطني مرة أخرى نحو فرنسا ثم يتجه عام 1958م لتونس، ثم يرجع إلى الوطن مع فجر الاستقلال. توفي في أكتوبر 1996م.

- **حياته**

بعد التعليم الابتدائي انتسب إلى معهد الكتانية بقسنطينة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس ثم عاد على الجزائر ودرس بمعهد الكتانية بقسنطينة .نضاله ضد المستعمر الفرنسي الذي كان له بالمرصاد، دفعه إلى مغادرة التراب الوطني مرة أخرى نحو فرنسا ثم يتجه عام 1958م لتونس، ثم يرجع إلى الوطن مع فجر الاستقلال. توفي في أكتوبر 1996 م.

تقلد عدة مناصب منها: مدير المؤسسة الوطنية للكتاب، رئيس المجلس الأعلى للثقافة، عضو المجلس الاستشاري الوطني ونائب رئيسه.

علّم الأدب العربي بالمعهد الكتاني بين 1954- 1955 ثم التحق بالقسم العربي في الإذاعة العربية بباريس حيث عمل كمخرج إذاعي، ومنها انتقل إلى تونس ليعمل في الإذاعة منتجاً ومخرجاً. وبعد عودته إلى الجزائر عمل في الإذاعتين الجزائرية والأمازيغية لأربع سنوات ورئس بعدها لجنة إدارة دراسة الإخراج بالإذاعة والتلفزيون والسينما وأصبح سنة 1970 مديراً في الإذاعة والتلفزيون الجزائري"[70].

- **مؤلفاته**

- الجزائر بين الأمس واليوم، دراسة نشرت تحمل اسم وزارة الأخبار للحكومة الجزائرية المؤقتة سنة.1959

- ظلال جزائرية (مجموعة قصص (نشرت في بيروت عن دار الحياة سنة.1961

- الأشعة السبعة (مجموعة قصص (صدرت في تونس عن الشركة القومية للتوزيع والنشر سنة.1962

- الأرواح الشاغرة (ديوان شعر (صدر في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة.1967

- ريح الجنوب (رواية (صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة1971

- الكاتب وقصص أخرى (مجموعة قصص (صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة.1974

- نهاية الأمس (رواية (صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة.1975

- بان الصبح (رواية (صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة.1980

- الجازية والدراويش (رواية (صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة.1983

- قصص من الادب العالمي (مجموعة قصص ترجمها الكاتب واختارها من الادب العالمي، صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1983.

- النسر والعقاب (قصة للاطفال بالالوان) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة.1985

- قصة في ايركوتسك (مسرحية سوفياتية مترجمة) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة.1986

- دفاع عن الفدائيين (دراسة مترجمة عن عمل قام به المحامي فيرجيس (نشرت في بيروت سنة1975 ، وسلمت هذه الدراسة إلى منظمة التحرير الفلسطينية.

- غداً يوم جديد (رواية (صدرت في الجزائر سنة 1992 في بيروت عن دار الادب سنة.1997

- امثال جزائرية، صدر في الجزائر، عن الجمعية الجزائرية للطفولة سنة.1993 .

2. أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.

كما يمكننا اعتبار رواية "الجازية والدراويش " (1983) للكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة أحد هذه النماذج التي تحدثت عن المستقبل بصيغة الحاضر والماضي. لقد تناولت، في جزء كبير منها، مآل الصراع حول التفرد بشخصية الجازية، رمز الجزائر المستقلة. كانت الرواية تحليلا ذكيا للواقع السياسي والأيديولوجي المهيمن، وكانت النتيجة المفتوحة موقفا حياديا من الخطاب المتواتر، وتموقعا عارفا بالنواة والفرع، بالثابت والمتحول في مجتمع محكوم بصراعات أيديولوجية ولسانية، وبمتغيرات مستمرة. ربما كان علينا إعادة قراءة هذا

النص لمعرفة واقعنا الذي فصّله الكاتب من عقود تأسيسا على خبرة استثنائية، وعلى بصيرة نافذة في قراءة مستقبل بلد متوتر. لقد كانت خاتمة الرواية إحالة على وضعنا الحالي، كما لو أن الكاتب كان يعيش سياقاتنا الحالية، تفصيلا تفصيلا، ونقطة فنقطة. تعامل عبد الحميد بن هدوقة بمهارة مع الشخصيات النموذجية التي كانت تمثل طبقات اجتماعية وأحزابا سياسية وتوجهات أيديولوجية ضاغطة، لكنه بقي متفرجا، ولم يلجأ إلى المواقف التفاضلية بتغليب فئة على أخرى، ومن ثم الخروج من النظرة الموضوعية إلى الموقف الذاتي من الصراع. لذا جاءت الخاتمة المفتوحة دلالة على ممكنات يتعذر تقنينها انطلاقا من واقع مضطرب، وهو ما تعيشه الجزائر بعد سنين من نشر هذه الرواية التي انطلقت من الحاضر لتستشرف الأفق الغائم الذي يميز بلدا غير مستقر على عدة أصعدة، بما في ذلك الهوية المهزوزة"[71].

2- ملخص رواية الجازية والدراويش :

كتبت الرواية في زمن كانت فيه الأفكار الاشتراكية في أوجها والتي كان لها انعكاس كبير على الكتاب والمثقفين والشعراء آنذاك، حيث تغنى الكثير بالإيديولوجيا الاشتراكية لما كان لها من فوائد جمة بالنسبة للفلاحين وعلاقتهم بالأرض أو العمال وعلاقتهم بالمصانع أو قيم الحرية والإنسانية وعلاقتها بالمثقف والكاتب والطالب الجامعي ... وهي تجسد في حقيقة الأمر مرحلة تاريخية كان فيها المد الاشتراكي قويا ولكن شاءت الأقدار فيما بعد أن تنسحب هذه الايديولوجيا إلى الوراء لتترك المجال أمام العولمة التي اجتاحت العالم اجتياحا كبيرا وفرضت نفسها أمام الأدب والاقتصاد والثقافة والمجتمع وقد كتبت أعمال أدبية كثيرة من شعر وقصة ورواية جسدت مرحلة الواقع الاجتماعي والفكري والثقافي والاقتصادي في السبعينات، بينما نجد الأدب الجزائري في مرحلة التسعينات كتب بكثرة عن المأساة الوطنية وعن المحنة التي عاشها المجتمع الجزائري من خراب ودمار كلفته ثمنا غاليا، وهذا يدل

دلالة كبيرة أن الأديب أو الكاتب يتلقى ويستقبل أفكاره من الواقع المعيشي أيضا لأن الأرضية أو الخلفية الزمنية والمكانية والبيئية تترك أثرا في ذهنية الكاتب بعد استقبالها . والرواية في مجملها تتحدث عن مجموعة من الطلبة الجامعيين وعددهم سبعة "ستة فتيان وفتاة "، وقد ركز الكاتب الروائي على شخصيتين من هؤلاء السبعة، الشخصية الأولى هي "الأحمر" أو الاشتراكي والشخصية الثانية هي الفتاة الطالبة صافية .أما الأحمر فقد كان يعد دراسة عن السدود في المناطق الجبلية كما كان يهتم بالقضايا الجيولوجية وقد قضى أوقاتا كثيرة بالقرية في القياسات والتنقلات. وبعد الدراسة كان رأيه أن المشروع لا يقوم على قواعد صحيحة بالإضافة إلى ذلك فتكاليفه غالية ثم هناك رأي آخر فيما يخص القرية الجديدة"[72] وبالتالي فهو يرفض المشروع قرية الشامبيط"[73] فإن السكان يرفضون ترحيلهم إليها لأن التربة غير صالحة للبناء .وكان من أشد المتحمسين لقيام مشروع القرية هو الشامبيط الذي وصفته الرواية في كثير من المواقف سواء أكان على لسان الراوي أو على لسان الشخصية بأنه سلبي ويدافع عن مصالحه الشخصية فقط .وفي إطار الصراع بين الشامبيط والشخصيات يتعرض الطالب الأحمر إلى القتل، بينما تتعرض شخصية الطيب وهو من أهل القرية إلى الاتهام ليدخل بعدها السجن. وقد ورد على لسان الطيب السجين إذ يقول:"ومقتله ... هل للشامبيط دخل فيه ؟ كيف يتعاون السكان معه بما فيهم أبى ليشهدوا ضدي، بينما هو عدوهم الأول ! هناك كثير من الأسئلة ما تزال غامضة"[74]... ! ومع نهاية الأحداث نشهد أيضا مقتل شخصية الشامبيط.

.أما المسألة الثانية في الرواية فهي من يستطيع الزواج بالفتاة الجبلية الجميلة "الجازية" ؟ تعرض لنا الرواية مجموعة من الشخصيات الروائية يتصارعون فيما بينهم من أجل الزواج بالفتاة الجازية. الشخصية الأولى هي الطيب بن الجبايلي ابن القرية الذي أحب الجازية أيام الطفولة حين كان يراها أمام شجرة الصفصاف والعين، الشخصية الثانية هي عايد المهاجر الذي عاد من الهجرة رغبة في الزواج من الجازية وكان جمالها مؤثر إلى حد كبير على

نفسيته ولكن بمجرد عودته إلى الدشرة وعلمه بما حدث، عرف أن الجازية كانت خطيبة الطيب، فتراجع عن هذه الخطوبة، وصار يرغب في الزواج من الفتاة الجبلية حجيلة. أما الشخصية الثالثة فهو ابن الشامبيط الذي يقرأ في أمريكا ويرغب والده في خطوبة الجازية له . بالإضافة إلى هذه الشخصيات الثلاثة فقد أشارت إلى الرقص الذي تم أثناء تنظيم "الزردة" بين شخصية الأحمر وشخصية الجازية "جرها الأحمر إلى الرحبة وسط الدراويش لم يتمكن من رؤية وجهها هم بنزع اللثام عن وجهها، لكنها منعته ! قدم لها منجلا محمى فلعقته ! راقصها فراقصته".[75]

- **أراء نقدية حول الرواية:**

استخدم المؤلف الروائي أسطورة الجازية لتجسيد البطولة والجمال والشجاعة في كثير من مواقع الرواية، وأيضا أسطورة نايلة وإنساف، "إنه الثنائي المعروف عند العرب بعلاقة الحب التي تسببت في مسخهما، وقد تم هذا الاستخدام عند وقد ورد الحديث عن هذه الأسطورة على لسان الحديث عن علاقة الأحمر بالجازية "إحدى الشخصيات في القسم الخامس من الرواية"[76]... أرى زردة ضخمة حول زمزم، دراويشها يهتفون بنايلة وإساف العشيقين اللذين كتب عليهما المسخ، ثم القداسة . وتبدو لي نايلة في صورة الجازية، وإساف في صورة الأحمر... "[77] ويقف الباحث عمر أوهادي في دراسته لهذه الرواية إلى جانب العلاقة بين الجازية والأحمر، ويرى أن الروائي لجأ إلى استخدام أسطورة إساف ونايلة لتصوير مجتمع لا يقبل العلاقة بين الرجل والمرأة لأنه يعيش بعقلية قديمة. ويقول: "يستخدم المؤلف أسطورة إساف ونايلة لكي يعب□ر عن إدانة المجتمع لعلاقة فتاة (الجازية) بشاب (الأحمر)، وهو مجتمع يعيش في العصر الحاضر بأخلاق موروثة، لا يقبل بغير العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة. كل علاقة خارجة عن علاقة الزواج هي عار يمكن أن تؤدي إلى نتائج خطيرة (مقتل الأحمر.

2- الشهداء يعودون هذا الأسبوع:

1- التعريف بالكاتب :

ولد في 15 أغسطس سنة 1936 بدائرة صدراتة ولاية سوق اهراس حاليا في الجزائر، تلقى نصيبا من التعليم الابتدائي والثانوي بمدرسة مداوروش التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم بمعهد ابن باديس بقسنطينة ثم بجامع الزيتونة بتونس، التحق في سنة 1956 بالعمل الثوري في صفوف جبهة التحرير الوطني.

أسس في 1962 جريدة "الأحرار"، وهي أسبوعية سياسية. أوقفتها السلطات بعد سبعة أشهر. انتقل من قسنطينة إلى العاصمة وأصدرها بعنوان "الجماهير". ما لبثت السلطات أن أوقفتها بدورها.

عمل من 1963 حتى 1983 بحزب جبهة التحرير كإطار سام، ثم أحيل على التقاعد، وهو لم يتجاوز سن السابعة والأربعين.

ألف حتى الآن ثماني روايات وثلاث مجموعات قصصية ومسرحيتين هي حسب الترتيب الزمني لنشرها: الروايات اللاز، الزلزال، الحوات والقصر، رمانة، تجربة في العشق، عرس بغل، العشق والموت في الزمن الحراشي، الشمعة والدهاليز، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي.

القصص: دخان من قلبي، الطعنات، الشهداء يعودون هذا الأسبوع

2-ملخص

المسرحية عبارة عن محاكمة للواقع الإجتماعي والسياسي والإقتصادي للبلاد، من خلال معايشتنا لحلم والد الشهيد بعودة ابنه الذي بعث له برسالة يخبره فيها بعودته. لكن الأب

يرفض هذه العودة لأنها ستكشف عن كل الخونة والمنحرفين عن المبادئ والقيم التي ضحى من أجلها الشهداء.

أثار الرّوائيّ الكبير الطّاهر وطّار في قصّته "الشّهداء يعودون هذا الأسبوع" السؤال: ماذا لو عاد الشهداء؟..مُلخَّصُ القصّة أنَّ بطلَها،عمّي العابد بن مسعود الشّاوي،يتسلّمُ رسالةً آتيةً من بعيد، فيتخيَّلُ أنَّ ابنَهُ الشهيد مصطفى راسَلَهُ لإخباره بأنَّه قادِمٌ بعد أسبوع، ويَشرَعُ في مُسَاءَلةِ كلِّ من يلتقي به من أعيان البلدة عن موقفه من عودة الشهداء، كمايلي:

–سي عبد الحميد، شيخ البلديّة ومدير مدرستها: ماذا يكون موقفك لو يعود شهداء البلديّة؟ يسأل العابد.. يلاحظ العابدُ ارتباكَ رئيس البلديّة، فيقول في نفسه: لن أحدِّثَهُ عن ابني مصطفى فهو الذي اغتال أباه الخائن.. يخفي سي عبد الحميد ارتباكَه قائلا: الأمر بالنسبة إليّ بسيط، إنهم مُسجّلون في سجلّ الوفيات، وعليهم أن يثبتوا حياتهم من جديد، ولن يتسنى لهم ذلك حتى تنتهي مدّة انتخابي على الأقل!..يقول عمي العابد : ولكن الأمر يتعلق بالشهداء، بمجاهدين حقيقيين.. يجيبه شيخ البلدية بخبث: لن يمرّ عليهم أسبوع حتى يتزيّفوا، سيؤولون إلى ما آل إليه غيرُهم، ثم يمضي مستعجِلا، يرمقُه العابد ويقول: ابن خائن، سكان البلديّة كلُّهم يعرفون أنّه ابن خائن، ولكنّهم صوّتوا لصالحه بالإجماع لأنّه متعلّم، حتى أنا صَوَتُّ لصالحه..!

سي المانع، مسؤول القسمة: ابني مصطفى سيعود هذا الأسبوع، قال العابد.ماذا تقول؟ سَرَحَ بعيدا محدِّثاً نفسه: هل مصطفى حيّ؟ لستُ أدري من بلّغَهُ أنني وَشَيْتُ به إلى العدو عندما كان يأتي إلى بيتي في البادية؟ نَصَبَ العسكرُ له كمينا لمدّة شهر ولكنّه لم يحضر،بعدها أرسل لي رسالة يقول فيها: مصيرك الموت يا خائن وطنه، من أجل ذلك انتقلتُ إلى المدينة خوفا على حياتي، ومن حسن حظي أنّه توفي بعد شهر من ذلك.. استفاق سي المانع من ذهوله سائلا: من أين علمتَ بأنّ مصطفى حيّ يا عمي العابد؟ قال

العابد: رَأَيْتُه في المنام هذا الصباح.. عندها تنفّس الصعداء واعتذر مسرعا، ولكنّ العابد استوقفه: لم تجبني عن موقفك إذا عاد الشهداء؟فأجابه:أُقدِّمُ لهم ملفات الانخراط في الحزب، مع التصريح بالالتزام للسلطة الثوريّة، وإذا كانت تتوفر فيهم الشروط سيُقْبَلون كمناضلين!.. قال العابد متعجِّباً:حتى الشهداء يخضعون للشّروط؟ فيجيبه سي المانع: كل الناس سواسية امام القانون يا عمي العابد.. يمضي العابد وهو يحدّث نفسه: ترى ماذا يقولون في دقائق الصمت التي يقفونها تَرَحّمُاً على أرواحهم؟ هل يقولون: تَغَمَّدَكُم الله برحمته أيها الأبطال.. أم يقولون: أيها الرب إنّك لطيف بعبادك لأنّك أَرَحْتَنَا منهم..!

منسّق قسمة قدماء المجاهدين: رجُلٌ معروفٌ ببطولاته أثناء الثورة، ذهل عندما أخبره عمي العابد بعودة مصطفى الوشيكة.. أطرق وهو يُفَكِّرُ بحزن ظاهر، لعلّه كان يقول في نفسه: سيتعب مصطفى كثيرا، لأنّ كلّ شيء تغيّر، حتى زوجتُه تزوّجها أخوه الأصغر، وأصبحت أمّا لأربعة أولادٍ بَعْدَهُ.. لو كانتْ العودة في السنوات الأولى للاستقلال لكانت مقبولةً، أما الآن فالوقت متأخّر.. التفتَ إلى العابد قائلا: إن استطعتَ الاتصالَ به، انصحْهُ بِعَدَمِ العودة إلى القرية.. أرض الله واسعة، قل له يتدرّب على الحياة في مكان آخر على الأقل..!

رئيس القبّاضة: عودة الشهداء ستُحدِثُ فوضى كبيرة، ستطالبُ الخزينةُ أهاليهم بتعويض المنح التي يتسلّمونها كل شهر، وسيرفض كثير منهم التعويض، وستترتب عن ذلك مشاكل قانونية واجتماعيّة..!

مسؤول الفرع النقابي: كان مع عمي العابد في السجن الاستعماري، كان الفرنسيّون يومها يسمّونه "الكومينيست".. أجاب على سؤال عودة الشهداء بقوله: سيكون موقفي بحسب الأفكار التي يحملها هؤلاء حين يعودون..!

أخ مصطفى الأصغر، الذي تزوّج أرملته، كاد يغمى عليه عندما سمع الخبر..

يستنتج عمي العابد أن لا أحد يريد عودةَ الشّهداء، لا المخلص، ولا المناضل، ولا الانتهازي، ولا الخائن، لا القريب ولا البعيد.. يُصَابُ إثرها بِنَوْبَةٍ، وينتهي به الحالُ مَيّتاً دهْسًا في سكة القطار..!

3- أهم القضايا التي تعالجها:

تحمل قصة «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» خلطة تمتزج فيها الواقعية بالخيال، ويتواجه فيها الزيف بالحقيقة وينتفض فيها الماضي على الحاضر محاصراً الجميع بأسئلة مفعمة بالقلق، أسئلة غير معتادة، أسئلة يكتنفها الغموض وتصبح الإجابة عنها أشبه بالتحدي، خاصة عندما تكون الإجابات لأسئلة تبدأ بـ «ماذا لو؟». حيث يتسع أفق الاحتمالات وتصبح الإجابة أكثر تعقيداً.

القصة التي تضمنتها مجموعة قصصية بالعنوان نفسه صدرت في العام 1984، مبنية على كيفية التعامل مع خبر غير قابل للتصديق، تحاكي فكرة الإصرار على العودة للحياة بأثر رجعي، فيها مداهمة ومحاكمة وتعرية للواقع وكشف لزيفه، قصة تقوم فكرتها على إعادة ساعة الزمن إلى الوراء، وبقدر ما تبدو الفكرة جميلة ومستحيلة لمن آمنوا بالشهداء وشاركوهم المقاومة، تبدو قاسية لمن اختاروا أن يعيشوا من أجل الحياة.

القصة مكتوبة بلغة عربية مبسطة ومعنية بشكل مباشر بالشأن الجزائري، وبمرحلة ما بعد الاستقلال تحديداً، أي بعد انتصار الثورة الجزائرية على الاحتلال الفرنسي للجزائر بعد أن قدمت قرابين الفداء متمثلة في أكثر من مليون شهيد، حيث تدور أحداثها في إحدى القرى بالجزائر"[78].

فكرة القصة بحد ذاتها شائكة وموجعة. فماذا لو عاد الشهداء اليوم وأبصروا دماءهم قد تحولت إلى استثمار وأن الجميع يرفض عودتهم، إما خوفاً من ضياع الامتيازات

والمساعدات المرصودة لذوي الشهيد، أو تحسّباً من انكشاف أمر أولئك الذين خذلوا الشهداء، ثم تقاسموا أشياءهم، بل وزوجاتهم؟!

وما الذي سيفعله الشهداء إذا أدركوا هذه الحقيقة؟ هل سيندمون على تضحيتهم؟ وهل ستتقبل الأجيال القادمة أن تضحّي إذا تكشّفت لها هذه الحقيقة التي لا تستثني أحداً؟ وكيف يتحول الشهيد من حالة لها قدسيتها وكرامتها إلى كابوس يهدد استقرار بعضهم ومصالحه؟ وكيف يصبح من تغنى للشهيد ومجده إلى رافض لفكرة عودته، فكرة العودة التي باتت محملة بالخراب والدمار؟

على أيّ حال فإن قصة «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» مليئة بالدهشة والمفارقات وبالتناقضات الحياتية، لكنها تنتهي بمصرع العابد بن مسعود على قضبان السكة الحديدية من دون أن يعرف أحد؛ هل دفعه أحد المنتفعين الجدد نحو القطار ليلقى مصرعه تحت عجلاته، أم إنه قد انتحر؟

وتعكس القصة تلك القدرة الهائلة لكاتب مثل الطاهر وطار في معالجته لأمور لا تخطر على البال، ففيها رؤية موضوعية لواقع اجتماعي وسياسي حدث في الجزائر (بلد المليون شهيد) ويحدث في بلدان أخرى، وربما تستدعي القصة تأملاً عميقاً نتيجة لارتباطها بما يحدث.

الطاهر وطار، المفجوع بالمحنة الجزائرية، يحاول من خلال «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» الرد على السماسرة وتجار التنازلات بطريقته الخاصة، فيزف بينهم بشرى عودة الشهداء، كي يفيقوا، فالمواجهة بينهم وبين الشهداء قد تشعرهم بشيء من الخجل، وتجعلهم أكثر إحساساً

بقيمة ذلك الاستشهاد الذي تحول إلى مكاسب رخيصة وأطماع دنيئة لا تنتهي. قصة مكتظة بالوجع تبدو أقرب لفانتازيا مؤلمة تفتح من خلالها التساؤلات الباب لواقع محبط، وتذكّرنا أن دماء الشهداء الزكية يتم يومياً تسليعها للحصول على مكاسب رخيصة يستفيد منها بعض الساسة هنا وهناك. يُذكر أن القصة ألهمت كثيراً من المسرحيين فتم تحويلها إلى نص مسرحي وعُرضت في الجزائر ودول عربية أخرى مثل سوريا وفلسطين.

المحاضرة العاشرة

معركة الزقاق رشيد بوجدرة

الثلاثية محمد ديب

1-رشيد بوجدرة

1. التعريف بصاحب الكتاب

ولد رشيد بوجدرة في عين البيضاء (الشرق الجزائري) العام 1941م ويحمل إجازات في الفلسفة والرياضيات ودرجة الدراسات العليا من جامعة السوربون وتفرغ للكتابة منذ عام 1972 صدر له الأعمال التالية بالعربية والفرنسية:

-1من أجل إغلاق نوافذ الحلم (الجزائر، 1965) شعر

-2التطليق (باريس، 1969) رواية

-3الرَعن (باريس، 1972) رواية

-4يوميات فلسطينية (باريس، 1973)

-5طبوغرافيا (باريس، 1975) رواية

-6الحلزون العنيد (باريس، 1977) رواية

-7ألف و عام من الحنين (باريس، 1979) رواية

-8ضربة جزاء (باريس، 1981) رواية

-9التفكّك (الجزائر، 1982) رواية

-10المرث (الجزائر-بيروت، 1984) رواية

-11معركة الزقاق (الجزائر-بيروت، 1986) رواية

-12لقاح ، (الجزائر، 1988).شعر

-13فوضى الأشياء (الجزائر، 1990)رواية

-14تيميمون (الجزائر، 1993) روية

-15حقد الـ) FISباريس، 1994) بافليت

-16رسائل جزائرية (باريس، 1995) مراسلات

-17الإنبهار (باريس، 1998) رواية

-18الجنازة (باريس، 2001) رواية

-19الوضوح (باريس، 2003) رواية

-20فندق) St Georges الجزائر، 2007) رواية

- 21ليليات إمرأة آرق – رواية

كذلك وضع الكاتب 13 سيناريو منها :

وقائع سنوات الجمر (نال السعفة الذهبية من مهرجان كان السينمائي 1975) سيناريو

بلاد السراب(نال الجائزة الكبرى بمهرجان موسكو 1981) سيناريو

نهلة (نال التانيت الذهبي بمهرجان قرطاج 1977) سيناريو

-وأعماله مترجمة إلى أربعةٍ وثلاثين لغة.

2. أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.

قدم الشاعر نصًا روائيًا ينبض بالمشاعر والرؤى التي عمل الذاكرة فيها دور الوسيط بين تاريخ الانتصار الجزائري على المستعمر الفرنسي، وتاريخ التشكيل الإنساني في حركة استرجاعية تمزج بين الوعي واللاوعي، وبين الإدراك والتغيب لمعطيات لمح إليها الكاتب ثم وضعها في دائرة المسكوت عنه، وكذا عبر لعبة التشكيك في التاريخ العربي الذي كانت له معالم معركة الزقاق التي خاضها "طارق بن زياد" خلفية رمزية للتوصل إلى نتيجة عدمية

تساوى معها مصير الإنسان والفرد مع مصير الإنسانية جمعاء في نهاية الرواية، التي تعد رمزا لاستعادة الذاكرة في الأنا الفردي "الجسد" وفي الأنا الجمعي "الوطن، الأمة."

ويتابع رشيد بوجدرة نزعته التجريبية في رواية: "معركة الزقاق"[79]، بمزيد من الإيغال في مسالك المغامرة السردية. فالعنوان يوحي منذ البدء باستثمار الكاتب التاريخ العربي الإسلامي، عبر استعادته وقائع معركة الزقاق التي خاضها طارق بن زياد ضد الاسبان، ومكنه كسبها من فتح الأندلس. فيكون الاشتغال المكثف على ذاكرة طارق بن زياد التاريخية، عبر أشكال من التداعي، واستنادا غلى نصوص كتاب التاريخ، كان السارد يتولى تعريبها بإلحاح من والده قبل أن يقوم بمجادلتها. فيعرض تاريخ فتح الأندلس عبر اللحظات المتأزمة، عقب ظهور علامات صراع بين القائد طارق بن زياد وأميره موسى بن نصير الذي حركته الغيرة بعد النص الذي حققه قائده في معركة الزقاق التي فتحت الأندلس. وتتشابك لقطات هذا التاريخ البعيد/ في بعده القومي، وأخرى مستمدة من تاريخ الجزائر الحديث، زمن حرب التحرير، بعضها مشرق يردد صدى البطولات والانتصارات، وبعضها الآخر قاتم يعرض للخيانات التي تخللت الثورة، والمظالم التي ارتكبها هذه الأخيرة في حق الكثير من أبنائها خاصة الشيوعيين منهم. ويشتغل الكاتب في عرضه لهذا التاريخ القومي/ والوطني الجزائري خاصة الشيوعيين منهم. ، على استثمار الوصف للواقع المرئي في إعادة تشكيل وقائع معركة الزقاق، وخاصة للمنمنمة، التي تقوم في هذه الرواية، مقابلا للصورة التي جمعت الطاهر الغمري ورفاقه الأربعة من المناضلين الشيوعيين في رواية: "التفكيك". وقد مثلت المنمنمة "المسوغ الفني لتناول موضوع المعركة. فكانت معركة ضد اللون والأبعاد والمجهول والقداسة والغيرة."[80] ويعرض هذا التاريخ في بعديه القومي/ والوطني عبر منظور نقدي للكاتب يتأسس على المعارضة التي تنتهي إلى المفارقة، من خلال إنتاج كتابتها التاريخية المضادة، والتي لا تتهيب من إثارة الأسئلة حول المصداقية التاريخية لخطبة طارق

بن زياد، ولما تم تدوينه عن ثورة التحرير الجزائرية. وتطال هذه المعارضة التراث الشعري العربي القديم، من خلال اختراق قدسيته، بتحويل مطلع أحد نماذجه المشهورة من الجمال اللفظي والدلالي إلى القبح/ المستهجن"

ويتمثل هذا التاريخ المتكأ لعرض جزئيا الواقع اليومي وزخم الحياة الفردية/ والجماعية في آن. فيتم اختراق السارد/ الكاتب لمنظومة الأعراف والأخلاق من خلال الحديث عن دم النجاسة (خرقة الأم المعلقة على أحد أغصان توتة البيت)' فتكون صفعة الأم عقابا له على محاولته إدراك المحرم، واكتشاف "أم أمه ليست ملاكا لا ينجس"[81] وتلتها صفعة الأب وإقصاؤه من البيت، لرفضه الإذعان لسلطة قمعه، خاصة وقد "أدرك أن الذي نجسها هو صاحب القرار الذي أقصاه من عتباته، فما عاد له ملجأ حاضن غيرها. هي الممحونة في حياتها (نزق عليها)، وفي جسدهم (دم حيضها)، لأنه لا يرى أمه إلا قدسية عذراء أبدا"[82]. وهي الرؤية التي جلبت له أذى فلقة المؤدب الضرير، بعد أن رفض كتابة ما أملاه عليه: "قال، اكتب، ويسألونك عن المحيض قل هو أذى. قلت: لن أكتب، أمي طاهرة. قال: أكتب وإلا فلقناك. قلت: اضرب. فضرب وأدمى القدمن. ثم مشيت على الجرح راكضا إليها أطالب بحقي في فهم هذه المعضلة"[83]، وهي الرؤية/الموقف التي تعكس الثورة على المحرم (قل هو أذى)، وعلى سلطة الأب القمعية/المقصية للآخر/ والمدمرة لإرادته، وعلى زيف الكتابات التاريخية- في معظمها- وأكاذيبها الملفقة، حول تاريخ العرب والمسلمين في الأندلس، أو تاريخ الجزائر الحديث زمن حرب التحرير.

وقد توخى السارد في بلورتها سردا متشبعا إلى حد التتويه، ينبني على تداخل الكثير من تقنيات الكتابة كالتذكر، والتداعي، والاستطراد والهذيان، والاستلهام، وفوضى الوعي... فتشظت الجمل والعبارات، إذ داخلتها الأرقام والمعادلات الرياضية الصرفة، وتعددت سجلات الكلام الذي تداخل فيه الفصيح والدارج واللغات الفرنسية والإسبانية والألمانية، إلى جانب محاكاة لغة الإعجاز في العديد من المقاطع السردية، مما يعمق فعل التوليد الذي يمارسه

النص على القارئ على صعيد المتن الحكائي، والحدث السردي، وأنساق الخطاب ومستويات اللغة، عبر ذاكرة تواجه نتانة التاريخ والواقع والكلمات من خلال البحث عن الأصيل من عناصر الكيان الفردي/ الجماعي، دون التهيب من اختراق للمقدس، ونقده قبل القطع معه، ويدلل عليها- إلى جانب السارد- أستاذ التاريخ بن عاشور من خلال مقارباته العقلانية للتاريخ بعيدا عن الأهواء أو المطامع"[84].

2-محمد ديب:

1. التعريف بالكاتب:

أديب وكاتب جزائري، لقب "الأب المؤسس" للأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية، وصفته وزارة الثقافة الفرنسية -في بيان نعته فيه- بأنه "كان صلة الوصل الروحية بين **الجزائر** وفرنسا، وبين الشمال والجنوب في (البحر الأبيض) المتوسط، وبين ضفتيْ الفرنكوفونية".

المولد والنشأة

ولد محمد ديب يوم 21 يوليو/تموز 1920 في تلمسان غربي الجزائر، لأسرة كان أبوها كثير التنقل بين المهن لتوفير لقمة عيشها.

توفي والده في 1931، ورغم الظروف المعيشية السيئة فإن ديب واصل تعليمه بعد انتقاله إلى مدينة وجدة المغربية، لكنه عاد إلى الجزائر قاصدا ولاية وهران لينتسب إلى مدرسة المعلمين، واستطاع أن يتقن اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

بدأ ديب حياته المهنية وعمره لا يتجاوز 12 سنة، وبعد أن عاش فترة قصيرة بمدينة وجدة المغربية عاد إلى الجزائر عام 1939 لممارسة التعليم في قرية "زوج بغال" على الحدود الجزائرية المغربية.

التحق 1942 بالعمل في مؤسسة للسكك الحديدية، ولكونه يتقن الإنجليزية والفرنسية فقد عمل محاسبا ثم مترجما لجيش الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، وتحول بعد ذلك إلى مصمم ديكورات ورسوم سجاد خلال 1945-1948 بولاية تلمسان.

اشتغل في 1948 بالصحافة فعمل في جريدة "الجزائر الجمهورية"، كما ساهم في يومية "الحرية" لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري، فنفته الشرطة الفرنسية بسبب كتاباته المناهضة للاستعمار الفرنسي للجزائر.

المؤلفات

كان ميلاده الأدبي عام 1952 مع صدور باكورة رواياته "الدار الكبيرة" عن دار النشر الفرنسية "لوسوي" ونفاد طبعتها الأولى خلال شهر فقط، ثم توالت إصداراته الروائية التي تبلغ 18 رواية.

ألف ضمن ثلاثية الجزائر الأولى: "الحريق" (1954)، "النول" (1957)، وضمن ثلاثية الجزائر الثانية: "من يتذكر البحر" (1962)، "الجري على الضفة المتوحشة" (1964)، "رقصة الملك" (1968).

تواصلت تجاربه السردية خلال 1970-1977 بنشر ثلاث روايات هي "إله وسط الوحشية" (1970)، "سيد القنص" (1973)، "هابيل" (1977)، كما ألف في ثلاثية الشمال: "شرفات أورسول" (1985)، "إعفاء حواء" (1989)، "ثلوج من رخام" (1990).

أصدر في القصة ثلاث مجموعات هي: "في المقهى" (1957)، "تلمسان" (1966)، "الليلة المتوحشة" (1995)، وله مسرحية منشورة في كتاب "ألف صيحة لمومس" (1980)، كما كتب في الشعر ثمانية دواوين أشهرها: "حارسة الظلال" (1961)، "تلك النار الجميلة" (1979)، و"طفل الجاز" (1998).

جمع طائفة من الحكايات التراثية المتداولة في بلدان المغرب العربي ضمن أربعة إصدارات، هي: "بابا فكران" (1959)، "حكاية القط الممتنع عن الكلام" (1974)، "سالم والمشعوذ" (2000)، "حكاية الخرتيت الذي كان يعتقد أنه قبيح الشكل".

الوفاة

توفي الأديب محمد ديب يوم 2 مايو/أيار 2003 في العاصمة الفرنسية باريس[85].

2- **ملخص ثلاثية محمد ديب**

الثلاثية عمل أدبي راق وبأسلوبه السلس والمشوق، وكذلك مبتغاه وأهدافه، وتعاطيه بجدية مع واقع معقد في حقبة تاريخية غنية بأحداثها وتحولاتها الكبرى. تقدّم للقارئ الكثير من المعرفة والمعلومات، وحصيلة قيّمة من تجارب روائي تفاعل مع محيطه بصدق فنقل رؤيته الموضوعية الخصبة والاستثنائية .

الدارة الكبيرة: يتحدث الكتاب الأول من ثلاثية محمد ديب " الدار الكبيرة " عن مجمع سكني يسمى "دار سبيطار" يقطن فيه مجموعة كبيرة من السكان أغلبهم من الفقراء الذين يعيشون حياة الجوع و البؤس همهم لقمة العيش، وداخل هذا التجمع تدور أحداث الرواية ، بطل الرواية طفل صغير لا يتجاوز عمره 12 عاماً أسمه عمر، وأمه اسمها "عيني" المعيل الوحيد للعائلة بعد وفاة زوجها، التي تكابد كل الصعاب من أجل الحصول على طعام ولدها وابنتاها ، و يحكي الكاتب أحوال المجتمع الجزائري و الأوضاع المزرية، من خلال تناول هؤلاء

الأشخاص في مجمع دار السبيطار ، وكيف كانت معيشتهم وتفكيرهم و تعاملهم مع بعضهم البعض تحت قمع و وحشية المستعمر الفرنسي و طريقته الاقصائية للشعب الجزائر و استغلال الفلاحين بأجور زهيدة ومعاملة استعبادية، الأمر الذي حرك المشاعر الوطنية، كما فعل الأستاذ حسن وهو يخاطر بنفسه و يتحدث للطلاب باللغة العربية المحظورة، مبيناً لهم أن وطنهم هو الجزائر وليس فرنسا كما يقولون لهم ". رغم قلة ما قاله حسن للطلاب وما اعتراه من خوف وتردد حنها، إلا انه بكلامه دفع الطلاب إلى التفكير فيما يتلقون من تعليم فضلا عن المعاملة القاسية التي يُعاملون بها.

تنتقل آثار القمع و سوء المعاملة من طرف الاستعمار إلى العائلات فنجد الأهل يصبون جام غضبهم على أطفالهم وكأنهم هم السبب في هذه الأوضاع المزرية، والأطفال بطبيعتهم البريئة يرفضون أشكال القمع والاضطهاد من أي جهة كانت، فنرى مظاهر التمرد على عمر ضد أمه "عيني" حين سمعها تشتم جدته و والده المتوفي بسب الحالة التي تركها فيها تواجه مصير العائلة وحدها، فنراه يصرخ و يشتم هو أيضا عليها ويلوذ بالفرار، وهذه نتيجة حتمية للحالة الاجتماعية والاقتصادية المزرية ، فعمر الذي يعاني الجوع والقهر والفقر وفقدان الأب، لا بد أن يكون بهذه القسوة اتجاه أمه، فهو هنا لا يمثل الطفل السوي، بل الطفل غير العادي، الطفل الذي يعيش تحت قسوة الاحتلال و قسوة الواقع الاجتماعي المتخلف والفقير في ذات الوقت. و في نهاية أحداث الرواية تتحسن ظروف العائلة قليلا بعد بداية عمل الأختين في معمل النسيج وإن كان براتب زهيد، وكذلك ظهور بوادر حرب عالمية ثانية و ميل العرب إلى هتلر بسبب حقده على اليهود وأكاذيبه حول الدفاع عم العرب و طرد الفرنسيين من الجزائر.

الحريق

"الحريق" هي الجزء الثاني من ثلاثية محمد ديب، و تبدأ أحداث هذا الجزء بمغادرة " عمر"، و هو ابن الحادية عشرة سنة دار سبيطار متجها إلى الريف، للعمل في الفلاحة، العمل الذي

تزاوله غالبية السكان في الجزائر، لكن كعمال فقط و ليس كأصحاب مزارع ، فالمستفيدون الرئيسيون من خيرات الأرض هم المعمّرون الذين يملكون غالبية الأراضي."

قرية " بني بوبلن " و على يد الكاهل المقعد " كومندار " الذي كلفته الحياة العسكرية بتر ساقيه، سيتعلّم عمر أسرار التعامل مع الأرض، سينضم إلى مجموعة الفلاحين البائسين الذين لا يملكون سوى قوة عملهم، والذين هم فريسة للجوع غالبا، و لا يملكون طريقة يعبرون بها عن سخطهم من الحالة البائسة التي يتلقونها من مالكي الأراضي إلا بالإضراب ، الذي يقابله مالكي الأراضي بمزيد من القمع و التجويع، و كان هناك مكيدة تُدبّر على تلك المرتفعات، إذ أن مالكي الأراضي سيستغلون حريقاً يشبّ في أكواخ المزارعين، ليلقوا التهم على من حرضوا على الإضراب، فيسجن ويعذّب.

يصف الكاتب تفاصيل الحياة في الريف الجزائري، و يقص حكاية الحياة الحزينة الشقية التي يعيشها الفلاحون، و يقول الكاتب أن " الاضطهاد لم يستطع في يوم من الأيام أن ينتصر على الشعوب"، كما قال سيد علي، أحد الفلاحين. ويتطرق محمد ديب إلى وصف علاقة الفلاحين بالمستوطنين الفرنسيين، وكذلك يحكي عن الصدامات العنيفة بينهم وبين رجال الشرطة. يرجع عمر إلى دار سبيطار بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية و ما خلفته من ضحايا رجال و رملت النساء و تركتهم في حالة عوز أشدّ.

النول " المنسج

رواية "النول" هي آخر الأجزاء في ثلاثية محمد ديب، حيث يتطرق الكاتب في قسم منها مجموعة من الأحداث، إلى ما صارت إليه أحوال دار سبيطار، فقد تحولت المدينة القديمة المعروفة بالحرف إلى ما يشبه المدينة الصناعية، حيث كثرت معامل النسيج بشكل لافت، و أصبحت السجاجيد و الأغطية تشحن إلى فرنسا باستمرار، عمر الذي بلغ الخامسة عشر عاماً بدأ عمله في احد المصانع الصوف، و تفاصيل أخرى سيتعرف القارئ من خلالها على حياة العمال البائسة داخل المصانع.

في القسم الثاني يصف الكاتب ظاهرة التشرد والتسول التي كان يعانيها الكثير من الناس في تلك الفترة، و قد نظمت السلطات حملة لجمع هؤلاء المتسولين و طردهم خارج المدينة على قول ممثل السلطة الحاقد أنهم حشرات لابد من تطهير المدينة منهم، لكن الظاهرة لم تتوقف و عادت تلك الأعداد أعدادا أكثر من ذي قبل، و ما صاحبه من شح فرص العمل والمعاملة السيئة و ظروف صعبة للعيش تحت قمع جنود الاحتلال.

2. آراء النقاد في ثلاثية محمد ديب:

قال عنه الروائي الطاهر وطار: "محمد ديب في ثلاثيته الروائية تفوّق على نجيب محفوظ في "زقاق المدق" و"القاهرة الجديدة"، وعلى حنة مينة في "المصابيح الزرق"، وعلى غائب طعمة في "النخلة والجيران"، فكل هذه الروايات صدرت في أوقات متقاربة وتعالج موضوع الحرب العالمية الثانية ومشكلاتها".

أضاف وطار "لقد اكتشفتُ تفوق محمد ديب على الآخرين، وأنه أكثر أصالة كعربي وجزائري ومسلم من زملائه في التعبير عن أزمة الإنسان العربي".

شارك ديب في عدة ورشات وندوات بجامعات عالمية مهتمة بالأدب المغاربي بصفة خاصة، وألقى فيها سلسلة من المحاضرات عن أعماله.

المحاضرة الحادية عشر
رواية الأمير واسيني الأعرج

1. التعريف بصاحب الكتاب

ولد واسيني الأعرج بتاريخ 8 أب 1954 في سيدي بو جنان في ولاية تلمسان وحصل على درجة البكالوريوس في الأدب العربي من جامعة الجزائر ثم انتقل إلى سوريا لمتابعة الدراسات العليا بمساعدة من منحة حكومية.

حصل على درجة الماجستير والدكتوراه من جامعة دمشق، عندما أنهى دراسته عاد إلى الجزائر وشغل منصبًا أكاديميًا في جامعته، جامعة الجزائر. وواصل تعليمه حتى عام 1994، وبعدها اضطر عند اندلاع الحرب الأهلية في الجزائر في التسعينات إلى مغادرة البلاد.

وبعد أن قضى وقتًا قصيرًا في تونس، انتقل إلى فرنسا وانضم إلى كلية جامعة السوربون الجديد، حيث درّس الأدب العربي.

وضع الأعرج بصمته في الأوساط الأكاديمية والأدبية العربية. وهو يحتل مكانة لا يمكن إنكارها بين الكتاب العرب الأكثر شهرة. يعترف النقاد الأدبيون بمساهمته في تطوير الرواية الجزائرية بشكل خاص. وكانت رواياته أيضًا موضوع عدد كبير من الأطروحات الجامعية والأطروحات في الجزائر وتونس. في عام 2005، نظم المركز الجزائري للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (مركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، كراسك) في وهران، الذي اعترف مكانته الأدبية، ندوة لمدة يوم واحد نوقشت فيه أعماله وحللت من قبل أساتذة جامعة بارزين.

تتضمن قائمة الروايات التي ألفها الأعرج كلًا مما يلي:

- رواية البوابة الحمراء (وقائع من أوجاع رجل) دمشق/ الجزائر 1980
رواية طوق الياسمين (وقع الأحذية الخشنة) بيروت 1981(سلسلة الجيب: الفضاءالحر- Livre de Poche 2002
- رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش دمشق 1982
- رواية نوار اللوز بيروت 1983 - باريس للترجمة الفرنسية 2001
- رواية مصرع أحلام مريم الوديعة بيروت 1984 (سلسلة الجيب: الفضاء الحر-2001 Libre Poche)
- رواية ضمير الغائب دمشق 1990- سلسلة الجيب: الفضاء الحر 2001
- رواية الليلة السابعة بعد الألف: الكتاب الأول: رمل الماية دمشق/الجزائر 1993
- رواية الليلة السابعة بعد الألف: الكتاب الثاني: المخطوطة الشرقية دمشق-2002
- رواية سيدة المقام دار الجمل- ألمانيا/الجزائر 1995 (سلسلة الجيب: الفضاء الحر-2001(Libre Poche
- رواية حارسة الظلال، الطبعة الفرنسية، 1996- الطبعة العربية 1999 (سلسلة الجيب: الفضاء الحر-2001(Libre Poche
- رواية ذاكرة الماء، دار الجمل- ألمانيا 1997
- رواية مرايا الضرير، باريس للطبعة الفرنسية 1998
- رواية شرفات بحر الشمال لدار الآداب، بيروت 2001، باريس للترجمة الفرنسية.2003
- رواية مضيق المعطوبين، الطبعة الفرنسية، 2005
- رواية كتاب الأمير، دار الآداب، بيروت 2005 - باريس للترجمة الفرنسية.2006

- رواية سوناتا لأشباح القدس، دار الآداب، بيروت 2009
- رواية البيت الأندلسي، دار الجمل 2010
- رواية جملكية أرابيا منشورات الجمل 2011
- رواية مملكة الفراشة 2013
- رواية رماد الشرق الجزء الأول: خريف نيويورك الأخير 2013
- رواية رماد الشرق الجزء الثاني: الذئب الذي نبت في البراري 2013
- رواية سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني ضمن سلسلة كتاب دبي الثقافية 2014
- رواية 2084 حكاية العربي الأخير– المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 2015
- رواية نساء كازانوفا – دار الآداب ببيروت 2016.

وتتضمن المؤلفات الأخرى لواسيني الأعرج كلًا مما يلي:

المجموعة القصصية أسماك البر المتوحش، منشورات الجمل 1986. بالإضافة إلى مجموعة رماد مريم، فصول مختارة من السيرة الروائية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2012.

2. لخص الرواية

رواية كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد، هي من الروايات الأخيرة لحد الآن في مسار الكتابة الروائية للباحث والروائي الجزائري واسيني الأعرج. وهي من الروايات القلائل عن الأمير عبد القادر الجزائري. ذلك أن الأمير عبد القادر لم يحظ في السرد الروائي بمثل ما حظي به في السرد التاريخي. بخلاف بعض القادة التاريخيين في العالم العربي أو الأوروبي. ونلقي هنا بهذه الملاحظة للتأمل فيها الآن فقط.

وقد نبادر إلى القول بأن رواية واسيني الأعرج تشكل مرحلة جديدة في كتابته الروائية، لأنها حاولت أن تقتحم سرداً روائياً معقداً، يتماهى مع التاريخ والواقع أحياناً بشكل أكثر وضوحاً

مما هو في رواياته السابقة. فهو يكاد يستمد مادته من التاريخ الجزائري الحديث في القرن التاسع عشر. ويركز بالخصوص على مسار شخصية تاريخية هامة، في تلك المرحلة، وهي شخصية الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري (26 شتنبر 1807– 24 مايو 1883)(2)، في فترة صراعه مع الفرنسيين الغزاة؛ ما بين 1832 و1847. ثم فترة نفيه (أو أسره أو سجنه) في فرنسا؛ ما بين 1847 و1853. كما يركز المؤلف كذلك على شخصية دينية مسيحية فرنسية، هي شخصية الأسقف أنطوان – أدولف ديبوش –Antoine Adolphe 3) (1856–1800) Dupuch)، الأسقف الأول في الجزائر، ما بين 1838 و1846.

ليست هذه أول مرة يعتمد فيها واسيني الأعرج على تاريخ الجزائر، بل جل رواياته تدور حول الجزائر الحديثة والمعاصرة وتستمد نسغها وإطارها وواقعها من ذلك أيضاً. ولكن الذي يميز هذا العمل الروائي هو الحضور القوي للمادة التاريخية، المتمثلة في الوثائق والكتابات والمراسلات والمصادر المشهود لها في كتابات تاريخ الجزائر في تلك الفترة، وبالخصوص في تاريخ الأمير عبد القادر، وتاريخ الأسقف الفرنسي ديبوش ، مع بعض الإشارات الدالة إلى تاريخ فرنسا في ذلك الوقت؛ وبالخصوص ما يتعلق منه بالصراع بين الأمير عبد القادر والفرنسيين. وتتمثل كذلك في قوة لغته السردية التي كانت تخرج من صلب الوقائع التاريخية وترائب السرد التاريخي. أي من الحقائق التاريخية الموثقة، ومن عملية الكتابة التي تحاول رفع تلك الوثائق إلى مستوى التخييل السردي، حتى يكاد يصبح السرد التاريخي شفافاً تُرى من ثقوبه الوقائع التاريخية، ويشرئب منه السرد التاريخي. بالإضافة إلى تعقد موضوعها وتعقد العلاقة القائمة بين موضوعاتها التي تؤلف في النهاية صوغها الحكائي والروائي.

لقد قسم الكاتب روايته إلى ثلاثة أبواب كبرى، هي: باب المحن الأولى، وباب أقواس الحكمة، وباب المسالك والمهالك. ويتوزع كل باب على لحظات يتم فيه توزيع السرد وتوجيهه، وينفتح على الذاكرة بشكل خاص. وعدد هذه الوقفات هو اثنتا عشرة وقفة. كما

اتخذ من مكان تاريخي هام ، هو الأميرالية ، وهي بناية قديمة على قدم البحر في ميناء الجزائر العاصمة، اتخذ منها منطلقاً لتوزيع السرد على أميراليات أربع؛ منها ينطلق وإليها يعود ليتوزع من جديد حتى الأميرالية الرابعة الأخيرة. ويلاحظ على هذا التأليف "للكتاب–الرواية" نوع من التدرج في السرد، ونوع من التقسيم المحكم الذي كان يراعي التتابع التاريخي وتطور الأحداث، والتي يكاد يظهر منها التقسيم الثلاثي للحكاية: بداية، وسط نهاية. والتقسيم الأكاديمي في البحث التاريخي كذلك. ألم يُسَمِّ روايته بكتاب الأمير؟ الرواية تجمع بين روح الإبداع الروائي وروح البحث العلمي.

3. أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.

صدرت الطبعة العربية الأولى من رواية "كتاب الأمير.. مسالك أبواب الحديد" عن دار الآداب للنشر والتوزيع ببيروت سنة 2005، وهى مكونة من 600 صفحة من القطع المتوسط، وكانت هذه الرواية قد اختيرت لتنشر ضمن مشروع " كتاب في جريدة" الذي رعته منظمة اليونسكو في آذار عام 2005 في مليوني نسخة، وقد حصلت الرواية على جائزة الشيخ زايد لهذا العام 2007م.

يحرص "واسيني الأعرج" على وصف العالم الذي تدور فيه أحداث روايته بين الجزائر وفرنسا بدقة تجعل القارئ واحدا من شخوص الرواية، فهو يصف المكان، والأشخاص، والمباني، والأزياء، وأسلوب الكلام، والأطعمة، والشاي بالنعناع الذي كانت أم الأمير "لالة الزهراء" تجيد صنعه وتعلمه لأصدقاء ابنها من جزائريين وفرنسيين.

كما أن الكاتب يدقق كثيرا في الأحداث التاريخية حرصا على الحقيقة التاريخية دون زيف أو مجاملة، ومع ذلك فليس التاريخ أو إعادة بناء فترة تاريخية معينة هي الهم الأول للمؤلف، إنه حاضرنا الآن الذي دفعه لاختيار هذه الفترة بالذات من تاريخ الجزائر للكتابة عنها، إنها الفترة التي كان يولد فيها نظام عالمي جديد، قطباه إنجلترا وفرنسا، الفترة التي بدأت تظهر

فيها بوضوح ثمار الثورة الصناعية في الحرب والسفر والصناعة والتجارة والفكر والطباعة... إلخ، فترة تشبه حاضرنا الذي بدأ يجني ثمار الثورة التكنولوجية، ويعيش تحت ظلال نظام عالمي جديد تحاول فيه الولايات المتحدة الأمريكية الانفراد بالسلطة، والفترة التي تتحدث عنها الرواية واصفة الوضع في الجزائر لا تحتاج إلى مجهود كبير لإسقاطها على عالمنا العربي والإسلامي الراهن أيضا.

بل إن اهتمام الكاتب بحاضرنا المعاصر هو ما جعله يختار عنوان الرواية "مسالك أبواب الحديد" أي السبل للخروج من السجن، وهو العنوان الذي كان له أثره المباشر في تركيب العمل الروائي، ليؤدي كل ذلك إلى إلقاء أضواء كاشفة على فترة كانت انتقالا عالميا بين عصرين، تشبه تماما واقعنا الآن، وعلى من يريد أن يتقدم أو حتى يحافظ على وجوده في مثل هذه الفترات عليه أن يكون على وعي تام بالعصرين معا.

في الرواية ثلاثة رواة، وثلاثة روايات متداخلة.

الراوي الأول هو الكاتب /الراوي العليم الذي يروي قصة "جون موبي" الفرنسي خادم "القس مونسينيور أنطوان ديبوش" أول قس للجزائر، حيث أوصى القس الذي عشق الجزائر خادمه قائلا: "كم أحلم عندما أموت أن تخرج يا حبيبي جون وأن تزرع تربتي في البحر فجرا، فقد غادرت تلك البلاد في حالة جوع منها، وأنت تعرف جوع المحب لا يشفيه إلا الموت أو اللقاء المستحيل" ص616.

يفتتح الكاتب روايته بـ"جون" وقت الفجر في مركب يملكه بحار مالطي ومعه تربة قبر "ديبوش" ينثره في بحر الجزائر، وينتظر وصول رفات "ديبوش" لدفنها في الأرض التي أحبها، وفي أثناء ذلك يحكي جون للبحار المالطي حكاية "ديبوش" والأمير. **فالراوي الثاني هو "جون موبي"**، وروايته عن سيده الذي ارتبط بعلاقة صداقة وأخوة عميقة

مع الأمير عبد القادر الجزائري منذ أن أتته امرأة عارية الصدر تستنجد به لينقذ زوجها الضابط الفرنسي من سجن الأمير، فيرسل ديبوش إلى الأمير رسالة يطلب فيها تحقيق رجاء هذه الزوجة باسم الإنسانية، فيستجيب إليه الأمير بأريحية لم يكن القس يتوقعها، بل ويعطي القس درسا حقيقيا في الإنسانية عندما يذكره أن الفضائل لا تتجزأ، وعلى من يسعى لتحرير السجناء الفرنسيين والتخفيف عنهم أن يفعل الشيء نفسه مع السجناء الجزائريين في السجون الفرنسية.

يحكي جون كيف أن هناك تشابها كبيرا بين الرجلين الأمير والقس، في نبلهما، وإخلاصهما للمبادئ العليا، وإيمانهما بالله ذلك الإيمان العميق الذي يجعل المؤمن يعطي من نفسه وماله لأخيه في الإنسانية بصرف النظر عن أي اعتبارات أخرى، وكذلك تشابههما في أنهما جاءا في الزمن الخطأ، زمن الجشع والخيانات، فكما أن القس كان يصرف كثيرا على الأعمال الخيرية حتى أصبح مدينا مهددا بالسجن وهرب من الجزائر حتى وجد من يسدد عنه ديونه، فإن عبد القادر كان يصرف سنوات عمره في حلم الوحدة والتحرر وبناء دولة حديثة، وكما لم يجد القس سوى الجشع والطمع، لم يجد الأمير سوى الخيانة من الأقربين.

يحكي "جون" كيف أن القس نذر خمس سنوات من عمره هي الفترة التي أمضاها الأمير منفيا سجينا في فرنسا ليكتب رسالة (كتابا) مرافعة للأمير الرئيس لويس نابليون بونابرت يوضح فيها مدى نبل وشجاعة وكرم الأمير الذي تحلى بأخلاق الفرسان في جهاده للاحتلال الفرنسي، والذي سلم نفسه مقابل تعهد من فرنسا بإرساله إلى بلد إسلامي، وأن فرنسا تخون شرفها كدولة عظمى بإبقائها على الأمير مسجونا لديها دون أن تفي بتعهداتها، وهى الرسالة التي تؤتي ثمارها بعد أن يحل لويس نابليون الغرفة النيابية التي كانت تعارض الإفراج عن الأمير، بل ويذهب إلى الأمير بنفسه ليخبره بحصوله على حريته، ويسلمه صك الحرية بنفسه، ويدعوه لزيارته في القصر الجمهوري، ويهديه حصانا وسيفا.

الراوي الثالث إذن هو القس ديبوش، وروايته هي قصة حياة الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري الذي اختاره أهله أميرا للمؤمنين وقائدا عليه أن يجمع كلمة القبائل المشتتة، ويوحد بين قلوبها، ويقودها في حركة جهاد مقدسة لتحرير أرض الجزائر من الفرنسيين.

ذلك الرجل النبيل الذي حاول أن يرفض تلك الإمارة ففرضت عليه، والذي حاول أن يجمع قومه على قلب رجل واحد فاحتاج إلى أن يحارب الكثير من القبائل، كان بعضها يدين له بالولاء اليوم، ويعلن العصيان غدا، يعتبرونه أميرهم وهو منتصر قوي، ويخرجون عليه عندما تصيبه هزيمة، ذلك القائد الذي كان يرى تباشير عصر جديد لا تصلح فيه الخطابة والسيف للتحرر، وقادته مازالوا يظنون أن النصر يأتي بقصيدة وقلب رجل شجاع، ثم يخونه الكثير من هؤلاء القادة، بل ويغدر به ملك المغرب ويحاربه بدلا من الوقوف معه ضد العدو الخارجي المشترك، ويتخلى عنه السلطان العثماني، حتى يضطر بعد جهاد دام لأكثر من خمسة عشر عاما إلى تسليم نفسه للفرنسيين حتى يحافظ على أرواح قومه لأن المواصلة في ظل هذه الظروف ليست إلا انتحارا، ولكن الفرنسيين لا يوفون بعهدهم معه إلا بعد خمس سنوات قضاها في المنفى والحزن، وفي مناقشات كثيرة حول الدين والإنسانية والخيل والمرأة في الإسلام؛ مع ديبوش وغيره من الفرنسيين.

هذا التثليث الروائي أعطى الكاتب حرية في الحركة خلال الزمن تقدما وتراجعا، وأعطى الرواية قدرا كبيرا من الحيوية والإثارة، كما أنه أتاح تقديم عدة وجهات نظر في الأمور.

فهناك عين الراوي الأول المحايد أو الذي يحاول الإيحاء بأنه كذلك، والراوي الثاني الذي لا يهمه في الحياة إلا سيده القس وتنفيذ وصيته، والراوي الثالث الذي يقص التاريخ بروح من يمسك بآخر أهداب مبادئ النبل والشرف قبل أن تضيع.

ثلاثة مستويات لغوية

إن بناء الرواية على أساس تداخل ثلاث حلقات روائية فيها، بحيث يبدأها وينهيها بحكاية جون موبي، منح القارئ القدرة على تفسير الرواية باستخدام فكرة دائرية الزمن، أو أن الزمن يعيد نفسه، وهو ما يؤصل للمنطلق الأساسي للرواية باعتبارها تناصا زمنيا بين الفترة المروي عنها وعصرنا الحاضر.

كان المؤلف على وعي تام باللغة التي يكتب بها روايته، فلأنه يعتمد على ثلاثة رواة استخدم ثلاثية لغوية، فاللغة تجنح إلى الوصفية الشعرية عندما يتحدث جون عن سيده، أو عندما يتم وصف معاناة الأمير أو القس النفسية، واللغة يتم تطعيمها بقليل من اللهجة العامية الجزائرية في بعض أجزاء الحوار مما يعطى إحساسا بالواقعية، واللغة تجنح إلى الوثائقية عندما يكتب القس عن معارك الأمير والوثائق المتبادلة بينه وبين الفرنسيين، وهذا التعدد في المستوى اللغوي للرواية منحها أفقا رحبا في التعامل مع ما هو تاريخي، وما هو خارجي يحتاج إلى عين كاميرا عند الوصف، وما هو شعوري ونفسي يحتاج إلى لغة أقرب إلى لغة الشعراء بل والمتصوفة أحيانا"[86].

زمن يتغير

وفي المنفى يقول لصهره وصديقه مصطفى بن التهامي: "كنا نظن أنفسنا أننا الوحيدون الذين ينظر الله إلى وجوههم يوم القيامة وأن الجنة حكر لنا وأن الله ملك للمسلم، وكلما تعلق الأمر بالآخرين أنزلنا عليهم السخط والمظالم، العالم يا سي مصطفى تغير، وتغير كثيرا ونحن على حافة عصر كل شيء فيه تبدى لنا على حقيقته، عندما كان الناس يحفرون الأرض ويستخرجون التربة ويحولونها إلى قطارات بخارية وسفن حربية وسيارات وقوانين لتسيير البلاد كنا نحن غارقين في اليقينيات التي ظهر لنا فيما بعد ضعفها وأننا كنا نعيش عصرا انسحب وانتهى" ص 591.

شخصية كاريزمية.. ومعادن الرجال

كما واجه الأمير خيانات الأقربين، نعم بصحبة المخلصين الأوفياء، الذين آمنوا بقضيته وجهاده، وجعلوه رمزا لهم، فعندما طلبت عائلة ابن علال؛ أحد أقرب القادة إلى الأمير، منه أن يتخلى عن الأمير رفض، وقال لهم: "تحملوا صروف المحنة والدهر وأقدار الله بالصبر وقراءة القرآن واسمعوا نصائحي، يحتمل أن لا أتلقى رسائلكم بدءًا من اللحظة. لقد صليت على أرواحكم الطيبة صلاة الغائب، فافعلوا الشيء نفسه" ص 349

درس في حوار الأديان

حيث يقول ديبوش لخادمه جون: "كنت أريده مسيحيا يخدم رسالة المسيح العالية، وكنت مستعدا أن أرحل بصحبته إلى البابا لتعميده ليصير واحدا منا.. ولكنه كان أقوى من أن يكون رجل دين واحد، فقد كان مسلما في قلب كل المعارك الكبرى لمصلحة الإنسان" ص 615

4. أراء نقدية حول الكتاب

يعتبر كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد) رواية عن الأمير عبد القادر، وهذه المغامرة تستحق كل الاهتمام، لأنها تمزج بين التاريخ والتخييل فلا أقول التاريخ لأنه ليس هاجسا لها، ولا تتقصى الأحداث والوقائع لاختبارها، فليس ذلك من مهامها الأساسية، فهي تستند فقط على المادة التاريخية، وتدفع بها إلى قول ما لا يستطيع التاريخ قوله: (الاستماع إلى أنين الناس وأفراحهم، وانكساراتهم)، وهي درس في حوار الحضارات، ومحاورة كبيرة بين المسيحية والإسلام، كما أنها تضفي إلى إعادة تشكيل وعي كل الّذين انغمسوا في حروب

القرن التاسع عشر، حروب وجد الأمير فيها نفسه على حافة قرن ينسحب بكل أشواقه وهزائمه، ومفاخره، كان السيف سيدها وقرن جديد كانت فيه الآلة والبارود هما سيدا الحروب والتطور.

إن الأمير باعتبارها رواية معاصرة تمكنت من تجسيد أهم تقنيات الكتابات الحديثة التي ساهمت على انبعاث الفضاء بأشكال دلالية عديدة، وأنها فضاء لتشكيلّ الذاكرة الجماعية وأنها سطوة اللّغة نحو الفضاء المتخيل.. "[87]

المحاضرة الثانية عشر

دواوين كل من سليمان جوادي، عثمان لوصيف، عز الدين ميهوبي

1-سليمان جوادي

1. التعريف بصاحب الكتاب

هو سليمان بن العرابي بن الزاوي جوادي من مواليد 12 فبراير 1953 بالجنوب الجزائري . الدراسة : خريج دار المعلمين ببوزريعة ثم المعهد العالي للفنون الدرامية ببرج الكيفان الجزائر العاصمة .

العمل:اشتغل بالعمل الصحفي مند منتصف السبعينيات و من الجرائد التي عمل بها : مجلة ألوان ، جريدة الشعب، مجلة الوحدة و مجلة الثقافة ، ثم عين سنة 1995 مديرا للثقافة بولاية الجلفة و بعدها بولاية الطارف حيث ما زال يزاول عمله .

النشاط الأدبي والفني: أنتج عدة حصص للإذاعة الوطنية منها : – الساقية و الخيمة . – ضياف ربي . – حقيبة الأسبوع . كما أنتج للتلفزيون مجموعة من المنوعات ذات الطابع التاريخي و الاجتماعي بعنوان :(حاجي لي يا جدي) ألف لعدد كبير من المطربين منهم : مصطفى زميرلي، محمد بوليفة، زكية محمد، الشاب خالد، صليحة الصغيرة، يوسفي توفيق وغيرهم .

– نشر أعماله الأدبية في اغلب الصحف الوطنية و المجلات العربية. – عضو المجلس الوطني لاتحاد الكتاب الجزائريين مند 1981.

– الأعمال و المطبوعات: – يوميات متسكع محظوظ . – أغاني الزمن الهادئ . – ثلاثيات العشق الآخر . – و يأتي الربيع . – قصائد للحزن و أخرى للحزن أيضا. – رصاصة لم يطلقها حمة لخضر . – تحت الطبع : – قال سليمان . – لا شعر بعدك . النشاط الإعلامي: تعامل مع عدة صحف وطنية هي : الحوار ، صوت الأحرار ، الجزائر اليوم ، بريد الشرق ، الشروق العربي، الأنوار و له مند خمس سنوات عمود يومي بجريدة الشروق تحت عنوان (الجدير بالذكر) ثم في يومية صوت الأحرار..... يعد سليمان جوادي من جيل السبعينات الذي ترك بصمات جلية في المدونة الشعرية الجزائرية و قدم مع شعراء دالك الجيل إضافة نوعية للقصيدة الحديثة في الجزائر و في الوطن العربي

قصائد سليمان جوادي

أفتش عن غير وجهي

يا شعبنا ما أروعك

"إلى روح بومدين في ذكراه"

ليلاي لاحت

شاعر

زوجة ، إلـه، راوية مرآة...إلخ" [88].

2–أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.

التجربة الشعرية للشاعر سليمان جوادي : في حوار له مع "السعيد موفقي" عن بدايته الشعرية، يجيب الشاعر قائلا:"كل ما أذكره أني بدأت الكتابة حول قضيتنا المركزية العادلة القضية الفلسطينية ، ووجدت والدي رحمه الله بجانبي فهو رغم تواضع مستواه التعليمي إلا

أنه كان مولعا بالمطالعة . وكان صديقا "لعدد كبير من الشعراء والكتاب لعل أهمهم محمد العيد أل خليفة وعبد المجيد بن حبة وحمزة بوكوشة وزهير الزهراوي ومحمد الأخضر السائحي وغيرهم ، وقد حاول أن ينمي في ملكة الكتابة من خلال تزويدي بالكتب أو بتعريفي بأصدقائه"[89] للتعلم منهم .

ويقف محمد بلقاسم خمار على أعتاب تجربة سليمان جوادي معترفا "في مطلع السبعينات عندما كنت أعد أسبوعيا صفحة"في رحاب الشعر" بيومية الشعب جاءتني قصيدة لطيفة بعنوان " من أجل زهرة" أعجبت بجمالها فنشرتها، وكانت أول بطاقة للتعارف بيني وبين سليمان جوادي"، وقد حسبته أستاذا، ولم يمض وقت حتى زارني، وتفاجأت وهو يقف أمامي ... كان أنيقا وسيما مهذبا .. يتسلل على القلب بعفوية الأطفال ويفرض شخصيته بكل بساطة ويسر[90] وهو يقر "لسليمان" أنه "ولد شاعرا كأغلب أبناء الجنوب من الموهوبين المبدعين ومن ولد شاعرا يمضي كل عمره مشتت الفكر مع أحلام الطفولة ونوازع الواقع[91] هذا هو شاعرنا سليمان جوادي حسب محمد بلقاسم خمار، وقد اتجه في وقت مبكر من حياته الأدبية لكتابة الأغنية ،وقد سعى إلى ذلك لإيمانه بأن جمهور الأغنية هو أكثر وأكبر من جمهور الشعر وقد كان هدفه من البداية هو إيصال شعره إلى اكبر عدد من الناس، وقد كان هذا بفضل الأغنية، لأن القصيدة المغناة أسهمت في الوصال بين "المواطن" و"اللغة" وخير دليل على ذلك أن أكبر شعراء العربية هم من تغنى الناس بأشعارهم بداء بامرئ القيس والمتنبي وبهاء الدين زهير وصولا إلى محمود درويش ونزار قباني.

استطاع "سليمان جوادي" أن يحقق حضوره على مستوى الشعر الجزائري وهو القائل "ما زلت مقتنعا من أن الشعر يسعني ويسع معاناتي ويستوعب همومي وانشغالاتي ولا يشكو من صراخي وحماقاتي،ما زلت أشعر بأبوة الشعر لي وسيطرته المطلقة على ميولاتي الأدبية ولذلك فإن فك الارتباط معه غير وارد في المدى القريب ....وسأبقى على قيد الشعر ما دمت على قيد الحياة " [92] فالشعر بالنسبة لشاعرنا متنفسه في هذه الحياة[93].

3- عثمان لوصيف

1. التعريف بصاحب الكتاب

ولد عثمان لوصيف في الخامس من شهر فيفري عام واحد وخمسين تسعمائة وألف للميلاد (05--1951م) بدائرة طولقة التابعة لولاية بسكرة طولقة قرية صغيرة نائية،أرضها رمل ونخيل، وسمائها حر،تشتهر بالزاوية العثمانية فالشاعر من عائلة بدوية فقيرة حيث تلقى تعليمه الابتدائي هناك ،وحفظ القرآن الكريم خلال العطل الصيفية في المساجد و الكتاتيب ثم التحق بالمعهد الإسلامي بسكرة،حيث أتم تعليمه المتوسط وحصل على الشهادة الأهلية سنة 1970م غير أن الظروف الاجتماعية القاسية التي كانت تعيشها أسرته اضطر إلى الانقطاع عن الدراسة ، وهذه هي العثرة الأولى لينخرط في سلك التعليم بعد سنة تكوين قضاها بالمعهد التكنولوجي لتكوين المتعلمين بباتنة،ومنذ تاريخ 17 سبتمبر 1971م وهو يشتغل بسلك التعليم،لكن هذا لم يمنعه من مواصلة دراسته بطريقة عصامية، حتى نال شهادة البكالوريا بمشاركة حرة سنة1974م .انتقل بعدها إلى التعليم المتوسط بعد نجاحه في مسابقة شارك فيها بالعاصمة)الجزائر) درس بالابتدائي خمس سنوات، وبالمتوسط أربع سنوات ،ولم تسمح له ظروف الفقر –أيضا– بالالتحاق بالجامعة التي كانت أمنيته الكبيرة وهذه هي العثرة الثانية–إلا في سنة 1980م حيث درس بمعهد الأدب العربي أربع سنوات حتى حصل على شهادة الليسانس عام 1984م في الأدب العربي ،ويعود أستاذا للتعليم الثانوي بطولقة إلى غاية أواخر 2001م .التحق بعد سنة واحدة بجامعة المسيلة كأستاذ مؤقت بقسم اللغة العربية وآدابها سنة 2002م، حيث درس سنتين، ثم انتقل إلى العاصمة بعد نجاحه في مسابقة الماجستير 2004م بجامعة الجزائر (العاصمة) طالب بقسم الأدب العربي – كلية الآداب واللغات –تخصص أدب عالمي ،وقد حاز عليها في شهر فيفري 2008م .أما عن مسيرته الأدبية بدأ يكتب المحاولات الأولى منذ أن التحق بالمعهد الإسلامي ببسكرة و بالتحديد عند بلوغه سن الخامسة عشر، وفي نفس الوقت كان يميل

كثيرا إلى الفنون الجميلة وعلى الخصوص الرسم والموسيقى ،لكن الشعر احتواه كلية فيما بعد، فقرأ لفحول الشعر القديم أمثال المتنبي، وأبي تمام، وشعراء الجاهلية كامرئ ألقيس وعنترة إلى غير ذلك ،ثم شعراء العصر الحديث أمثال أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم،ومفدي زكرياء وغيرهم، ثم شعراء المهجر والرومانسيين وأخيرا رواد الشعر الحر في المشرق العربي، بدر شاكر السياب، والبياني وكما اطلع على الآداب الأجنبية وتعلم اللغتين الفرنسية والانجليزية، وقد كان في تجربته الشعرية والثقافية عموما عصاميا قبل كل شيء .قال عنه الشاعر السوري عبد الكريم الشريف :"أنه تواق إلى الرؤى ،يغذي النار التي تستهلكه، وان لشعره ما لروحه من جمال العاصفة المتوتر،المدوي،يستنزف نفسه في ومضات خاطفة ،أن شعره لا يحيلنا إلى أشياء، وإنما يستحضرها عن طريق حدسه المتدفق كزوبعة تلف في طياتها ما يعرض عليها،وفي تعاليها تكتسب معاناته حللا مرئية ".طبع حتى الآن ستة عشر(16 (مجموعة شعرية ومجموعة نثرية واحدة هي عبارة عن رسائل عاطفية ويمكن توضيح ذلك كما يلي

1 :الكتابة بالنار– 1982 –شعر 2 .شبق الياسمين – 1986 – شعر_ 3 .أعراس الملح – 1988 –شعر_ 4 .الإرهاصات – 1997 –شعر_ 5 .اللؤلؤة – 1997 – شعر . _ 6نمش وهديل – 1997 – شعر_ 7 .براءة – 1997 – شعر_ 8 . غرداية – 1997 – شعر_ 9 .الأبجديات – 1997 – شعر_ 10 .المتغابي – 1999 – شعر_ 11 .قصائد ظمأى – 1999 – شعر_ 12 .ولعينيك هذا الفيض – 1999 – شعر_ 13 .كتاب الإشارات – 1999 – شعر_ 14 .قراءة في ديوان الطبيعة – 1999 – شعر 15 . _زنجبيل – 1999 – شعر_ 16 .قالت الوردة – 2000 – شعر.

الأعمال الشعرية غير مطبوعة : ريشة خضراء .أما المخطوطات الشعرية فهي كمايلي _ : أول الجنون: ويضم بعض قصائده الأولى التي لم تنشر _ .يا هذه الأنثى: تحت الطبع _ .

جرس لسماوات تحت الماء: تحت الطبع _ .مكاشفات في مشهد الموت: مسودة . ولديه بعض المسودات في الترجمة"[94].

2. أراء نقدية حول الكتاب

عبر أغلب الشعراء والادباء الجزائريين عن حزنهم لرحيل الشاعر عثمان لوصيف واصفين رحيله ب"المؤلم" ومعتبرين مكانته الشعرية ب"الكبيرة" . وكان الشاعر ميلود خيزار قد اعتبره من "طينة نادرة" مضيفا أنه "منذ عرفته ظلّ ودودا، خلوقا، إنسانا حساسا، متواضعا، عفوا، كريما وكتوما، بذاكرته القوية جدا وبعزيمته التي لا تلين إرادته التي لا تقهر". واعتبر الشاعر حمري بحري أن "الشعر الجزائري فقد اليوم أحد شعرائه المتميزين في كتابة القصيدة وفي طريقة تعامله مع الحياة زاهدا وفي مغرياتها، ووصفته الباحثة هاجر مدقن بأنه "فارس شعر". وقال الكاتب بلقاسم مسروق أن لوصيف "كان رائعا كالشعر، كالمطر الخريفي" مضيفا أنه "جاء من رحم الحقيقة حاملا طموحاته وآماله" واكتفى بالقول "عثمان لوصيف نبي ضيعه قومه". بينما وصفه الشاعر محمد الأمين سعيدي بأنه "رجل صوفي عابد، في عينيه المحبة"، في حين اكتفى الكاتب والأكاديمي مبروك دريدي بوصف الشاعر الراحل ب"الكبير" وأنه كان "ينفخ بحكمته محبة الجمال والخير".

و اعتبر سعيد بن زرقة الفقيد "صاحب الرؤى الصوفية والعارف بسر المقامات والمسالك"، يبقى عثمان لوصيف في نظر الشاعر و الناقد مشري بن خليفة " شاعر كبير وباحث صابر و مصابر" في نظر الشاعر و الناقد مشري بن خليفة الذي أضاف انه "عاش متعففا وزاهدا ومتساميا بروحه". و قال الكاتب بشير مفتي "لم التق به إلا مرات نادرة في التسعينيات، لكن كان يكفي قراءة بعض نصوصه الشعرية حتى تدرك مقامه الشعري الكبير" بينما اعتبر الشاعر عبد الرزاق بوكبة ان عثمان لوصيف "أنقذ شرف الشاعر في بيئة جزائرية متهافتة". و اعتبر وزير الثقافة عز الدين ميهوبي في برقية تعزية الراحل ان المرحوم يعد من "اهم

الاصوات الشعرية التي اخذت على عاتقها مسؤولية تجديد روح القصيدة الجزائرية " و هو المسار الذي بداه كما قال في عمله الاول الموسوم ب" الكتابة بالنار[95]. "

3. عز الدين ميهوبي

1. التعريف بصاحب الكتاب

ولد عز الدين ميهوبي بالعين الخضراء ولاية المسيلة في 1 يناير عام1959، التحق بالمدرسة النظامية في 1967 بمدرسة عين اليقينن، وحصل على شهادة الباكالوريا آداب من مدرسة عبد العالي بن بعطوش ببريكة، كما درس عام 1979 بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة ثم معهد اللغة والأدب العربي بجامعة باتنة (درسة متقطعة)، ثم درس بالمدرسة الوطنية للإدارة (دبلوم تخصص الإدارة العامة) من 1980 حتى 1984. درس في جامعة الجزائر وحصل على دبلوم في الدراسات العليا المتخصصة في فرع الاستراتيجية عام 2007. عمل رئيسا للمكتب الجهوي لجريدة الشعب بسطيف (1986- 1990)، ورئيسًا لتحرير صحيفة الشعب، أول صحيفة يومية بالعربية بعد الاستقلال، من 1990 إلى 1992. أدار مؤسسة إعلامية خاصة (أصالة للإنتاج الإعلامي والفني) ومقرها مدينة سطيف، أصدرت صحيفة)الملاعب(وبعض الكتب الرياضية بين 1992- 1996. عمل مديرًا للأخبار والحصص المتخصصة بالتلفزيون الجزائري بين 1996-1997، ونائبًا بالبرلمان (المجلس الشعبي الوطني) عن حزب التجمع الوطني الديمقراطي من عام 1997 إلى عام 2000. تم انتخابه رئيسا لاتحاد الكتاب الجزائريين في مارس 1998، وأعيد انتخابه في ديسمبر 2001 إلى 2005. شغل منصب مدير عام المؤسسة الوطنية للإذاعة من 2006 إلى 2008، ومنصب رئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر بين عامي 2013 و2015. عُين وزيرًا للثقافة بالجزائر في 2015. له في الإنتاج الفني العديد من الأوبريتات والمسرحيات والمسلسلات التاريخية.

النتاج الروائي:

"التوابيت"، 2003

" •اعترافات تام سيتي 2039" (جزءان)، 2007

" •اعترافات أسكرام"، 2009

" •إرهابي"، 2013

النتاجات الأخرى:

"في البدء كان أوراس" (ديوان شعري)، 1985

" •الرباعيات" (ديوان شعري)، 1997

" •الشمس والجلاد" (نص أوبيرت)، 1997

" •اللعنة والغفران" (ديوان شعري)، 1997

" •النخلة والمجداف" (ديوان شعري)، 1997

" •ملصقات" (ديوان شعري)، 1997

" •خالدات" (نصوص تمثيلية)، 1997

" •عولمة الحب، عولمة النار" (شعر)، 2002

" •قرابين لميلاد الفجر" (شعر)، 2003

" •ومع ذلك فإنها تدور" (مقالات رياضية)، 2006

" •طاسيليا" (شعر)، 2006

" •منافي الروح" (شعر)، 2007

" •لا إكراه في الحرية" (مقالات)، 2007

" •أسفار الملائكة" (شعر)، 2008

" •كتاب جابولاني" (مقالات رياضية)، 2010

" •عرفتهم" (شهادات)، 2013

" •ميسي والآخرون" (مقالات رياضية)، 2013

" •الشيخ محمد دراجي – مسيرة مجاهد علامة"، 2013

معلومات أخرى (جوائز، ندوات، استضافات.. إلخ:(

الجائزة الوطنية الأولى للأوبريت في عام 1987"[96]

2. أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.

الشاعر عز الدين ميهوبي يتناول في قصائده عن هموم الإنسان في الجزائر والعالم، وعن السجن والحرية، الحنين للوطن ونعت المنفى والاغتراب، كما يدعو شعب الجزائر للبدء بخطوته الاولى ورفع صوته بالكلمة الحرة لكسر الصمت المطبق، وألا يقف محايدا تجاه حقوقه في حياة كريمة مفعمة بالعدل والديمقراطية، كتب ميهوبي قصيدة «اختيار» التي جاء في ابياتها ما اراد الشاعر حين قال[97]:

قل أيَّ شيءٍ صديقي لا تقف وسطا .... واخترْ مكانك.. صحّاً كان أو غلطا

قل أي شيء فإن الصمت أتعبنا ..... والصمت موت إذا ما زدته شططا

قل أي شيء فإن الصمت أتعبنا .... ورحلة النصر. نبداها ببضع خطى

إن الجزائر من دمعي ومن دمكم.... وألف ألف شهيد باسماً. سقطا

إن الجزائر يا أحباب، ما انكسرت.... لكنها انتصرت والعِقْد ما انفرطا

إن الجزائر ليست لعبة، وكذا فأر .... يلاعب – من جهْلائه – قططا

إن الجزائر من دمعي ومن دمكم .... وألف ألف شهيد باسماً. سقطا

الشعب قال فهل من بعد قولته .....قول يقال, وهل ما قال كان خَطَا?

إن الجزائر يا أحباب، ما انكسرت .... لكنها انتصرت والعِقْد ما انفرطا

تتبع الصورة الفنية عند عزالدين ميهوبي نمط الصورة الحداثية بعامة، فيما يتعلق بتكسير قاعدة اللغة الطبيعية، وذلك من خلال عقد علاقات – تبدو وكأنها غير منطقية– لكن المبررات البلاغية تتيح لها فرصة اكتساب عنصر المنطقية، كما سيتضح جليا في التحليل التالي، حيث إن مجرد تحديد العلاقات النحوية ونوع الصورة لا يعطي الدلالة الحقيقية للصورة أو قصدية الشاعر، لأن لا تتم العملية إلا بعد تحليل البنية الداخلية للألفاظ، والدلالات اللامتناهية عبر محور الاستبدال.

المحاضرة الثالثة عشر

بوابة الذكريات آسيا جبار

ذاكرة الجسد أحلام مستغانمي

1-بوابة الذكريات آسيا جبار

1. التعريف بصاحب الكتاب

ولدت الكاتبة فاطمة الزهراء إيمالاين الشهيرة باسم آسيا جبار في مدينة (شرشال) عام 1936، كانت أول امرأة جزائرية تنتسب إلى دار المعلمين في باريس، كما أنها أول سيدة جزائرية تحصل تعمل أستاذة جامعية في الجزائر ، وأيضاً أول سيدة عربية تفوز بجائزة السلام التي تمنحها (جمعية الناشرين في ألمانية) عام 2002

وحققت آسيا جبار سابقة بالنسبة للنساء في الوطن العربي ، حيث انتخبت في عام 2005 كأحد أعضاء الاكاديمية الفرنسية المختصة في الأدب الفرنسي ، وبهذا أصبحت خامس امرأة في العالم واول عربية تحظى بهذه المكانة ، وعملت أيضاً كبروفسير للأدب الفرنكفوني في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، وتعد آسيا جبار أول أديبة عربية يتم ترشيحها إلى نيل جائزة نوبل للأدب في عام 2009 عن مجمل أعمالها.

أبرز أعمال آسيا جبار

– في عام 1978 فيلم تسجيلي بعنوان (الزردة وأغاني النسيان(

– في عام 1977 فيلم روائي بعنوان (نوبة نساء جبل شنوة(

–رواية ظل السلطانة

–رواية لا مكان في بيت أبي

-رواية نساء الجزائر

-رواية ليالي ستراسبورغ

-رواية الجزائر البيضاء

-رواية بوابة الذكريات

وتوفيت الكاتبة الجزائرية عام 2015 عن عمر ناهز الـ 79 عام في فرنسا ، ولكنها أوصت بأن تدفن في الجزائر وهذا ما حدث بالفعل[98].

2. نبذة عن رواية (رواية بوابة الذكريات

ومن خلال رواية (رواية بوابة الذكريات) للكاتبة والروائية الجزائرية آسيا جبار ، نكتشف الكثير من الأسرار حول حياة الفتيات والنساء في الجزائر قبل الثورة التحريرية من الاحتلال الفرنسي للبلاد، فتسرد لنا الكاتبة تفاصيل الحياة اليومية الخاصة ببطلة الرواية ابتداء من بلوغها عامها الثالث من خلال رحلة قصصية ممتعة تسردها لنا آسيا جبار.

تحكي لنا الكاتبة عن طفلة صغيرة ولدت في بيت في إحدى القرى الجزائرية كان لديها شغف كبير بالتعرف على الثقافات والاختلافات المحيطة بها، وترجع الكاتبة إلى حياة بطلة الرواية عندما كانت تبلغ من العمر ثلاثة أعوام ، وتتذكر كيف كانت تعيش في منزلها طفولة مليئة بالتفاصيل المختلفة.

وايضاً كيف تأثرت وهي في هذا الحقبة العمرية المبكرة بالحكايات الخاصة التي كانت تستمع إليها في جلسات والدتها والخالات ، وكيف كانوا يتحدثن عن الصعوبات التي يوجهونها في مجتمعاتهن الريفية المنغلقة.

وحب الطفلة للحكايات الشعبية جعلها تعش القراءة وتغوص في هذا العالم في سن مبكر للغاية، حيث تخبرنا الكاتب عن مطالعة البطلة لأول رواية في حياتها وهي في عمر الخامسة.

وعند وصولها لمرحلة المراهقة انتقلت عائلتها من الريف واستقروا في العاصمة الجزائرية ، حيث الحياة الأكثر انفتاحنا وتقول البطلة أن كل شيء حولها أصبح له طابع مدني أكثر ابتداء من أثاث منزلهم الجديد والموسيقى التي يستمع لها والدها ، وصولاً إلى الملابس التي ترتديها والدتها وطبيعة أصدقائها وبالطبع اختلاف الحكايات النسائية التي تدور بين والتها وأصدقائها في جلسات السمر.

ازداد شغف البطلة بالحفلات التي كانت تحدث في ساحة المدينة ، والتي تسمح للنساء بالرقص دون خجل على عكس ما كان يحدث في بلدتهم الريفية، وكذلك اختلاف الأعراس وتقاليدها من حيث الطعام والشرب وحتى الاختلاط بين النساء والرجال، مما جعل أفاق الفتاة تتسع لمعرفة الاختلافات بشكل أكثر بكثير ، وقد ادخلتها هذه المؤثرات العديدة في حالة من المقارنة المستمرة بين حياة والدها الذي يعمل معلم والأم الصارمة في كثير من الأحيان ، والحياة التي تنعم بها المراهقات من حولها في المدينة.

وتعد رواية (بوابة الذكريات) بمثابة تجربة شخصية تغوص في أعماق الأنا لكل فتاة عربية راغبة في التحضر والتطلع على الثقافات الجديدة ، ولكنها في نفس الوقت تحاول الاحتفاظ بالعادات والتقاليد التي نشاءت عليها.

"برزت صبية إلى الوجود: عمرها سنتان ونصف السنة أو ربما ثلاث سنوات. ترى هل الطفولة نفق من الأحلام لامع هناك على خشبة مسرح حيث يعاد العرض، ولكن لك وحدك أنت يا صاحبة العين الجاحظة؟ هذه طفولتك تمتد لأي صفيّة وكاتمة أسرار ولأي ابنة عم عابرة تكون قد رأت دموعك تنهمر في خضم الشارع فيما مضى، أو نحيباً لا يزال يمزقك؟."

بهذه اللغة الفريدة، اللغة الفلسفية العصية، اللغة التي تخبئ أكثر مما تظهر، تبدأ "آسيا جبار" سرد نتفٍ من سيرة حياتها، فاتحة "بوابة الذكريات". تسمح لنا بالتلصص على أكثر لحظات طفولتها ومراهقتها حميمية، لتروي قصةً ذاتية لكنها، في الحقيقة، يمكن أن تكون

قصة كل فتاة في العالم العربي. تتبّع الكاتبة سيرة حياتها، وهي التي نشأت بين أبٍ متعلّم لكنه خاضع لقوانين المجتمع الذكوري الذي يعيش فيه، وأمٍّ شابة تكشف لابنتها عالم النساء في الجزائر. عالم الأسرار والثرثرات والكبت، العالم المختبئ وراء جدران صلبة من المحظورات، متحوّلاً إلى سجن كبير، لا تجد فيه الفتيات متنفساً إلا في الأعراس النسائية، حيث يتركن أجسادهن ترقص بحرية لتعبّر عن رفضهن للقمع الذي يتعرضن له وهن يتقن إلى الخارج.

"في البدء، أرقص ببطء مثل الطاووس، ثم بخفة وحركات مفككة مثل رقصة عالمة، لأختمها مع اهتزاز كتفيّ، وأنا أبسط ذراعيّ العاريين على وشك الاستلقاء على الأرض، مع ذلك أستعيد بعض الارتفاع (...) وفجأة يبدو التقبب البطيء والكتوم لثدييّ المقلوبين باتجاه السماء، وهذا التثاقل، هذا الغثيان، هذا التعري، الانقباضات المنكمشة والممتدة لهذا الجسد الأنثوي الذي راح يولد، للعذراء الصامتة، للنار المتوقدة، للزهرة التي لم تتفتح بعد[99]."

أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.

في سيرتها الروائية بوابة الذكريات يوغل وعي آسيا جبار عميقاً إلى جوف الكينونة، إلى بئر الليبيدو التي منها ينبثّ نور الوجود. النور الصانع لتلك التشكيلة المبهرة من الضوء والظل حيث صورة الحياة المجسّمة، الرجراجة، السعي لالتقاط لحظات الدهشة الأولى، لذة اكتشاف معنى أن تكون ذاتاً مع الآخرين، ومائزاً عنهم. إنها تتحرّى عن الأسرار الخبيئة الوحشية والبريئة، من غير مواربة وخوف غالباً، وبمناورات مجازية قليلاً، في محاولة للإمساك بجذر الأشياء والمشاعر والرغبات، كما لو أن العنوان الملحق، الثاوي بين الصفحات هو حكاية جسد في العالم.. مروية جسدها باستحالاته الطبيعية والعاطفية والرغبية.

تستخدم آسيا جبار لغة مهموسة، حادّة ورهيفة كالشفرة، لتُحدث جروحاً صغيرة في جلد ذاكرتها، لتقترب، وهي تعيش مسرّات الاكتشاف، أو بالأحرى إعادة الاكتشاف، والاعتراف، من ذاتها؛ عقلاً وجسداً وروحاً. أن تعرف كيف حصل الأمر عبر حسّها المغموس باستعارات اللغة وكناياتها، المتبّل بالشعر، والمعروض في صور تثير الفضول وتعطي وعوداً بمتعٍ خارقة.

إنها رواية عن نمو الوعي وتكوّنه، فوعي الأنا ينبثق على مهل، مع كل تجربة عابرة، مع كل مغامرة صغيرة أو كبيرة، مع كل انتهاك لنواميس ومواضعات مجتمعية قارّة. فثمة مسحة إيروتيكية للكتاب، قشرة خفيفة وامضة، لكنها مهذّبة، مثقّفة، هادئة، غير منفّرة، غير متطلّبة بإفراط، طبيعية جداً، متسائلة أحياناً، مفعمة بالرقّة، ببعض الخشية، وبنزر يسير من الحياء الشرقي.

تستعيد آسيا جبار بعضاً من التفاصيل الدقيقة لتحوّلات جسدها من طفلة إلى مراهقة، وشابة، إلى امرأة في أواسط العمر، ومن ثم لمّا تغدو في عمر الكهولة، وأخيراً حكيمة على أبواب الشيخوخة. تستحضر ثانية تلك الانتفاضات التي تثبِّتها، في النهاية، جسداً، ذاتاً في العالم.

الجسد الذي يتشبّع بالإيقاع فيرقص، ويضيق ذرعاً بمكبوتاته فيتعرّى حتى وإن جزئياً بظهر وصدر مكشوفين قليلاً أمام أعين القريبات في الأعراس، حتى وإن في الفراش، في وحدتها، حتى وإن في أحلامها غير الفاحشة، وجسد الأنثى الموشوم، باعتبارات العفّة والشرف العائلي والستر، والمحبوس بين جدران البيت لهذا السبب، لا بد من أن تجد كوى للتنفيس كي لا يذبل وكي لا يختنق. فيما الرقص أمام المرايا، أو في الأعراس العائلية، قد يكون اختباراً لإعادة الثقة بالنفس، وتمريناً أولياً لمواجهة شرور الدنيا فيما بعد.

"في البدء، أرقص ببطء مثل الطاووس، ثم بخفة وحركات مخفّفة مثل رقصة عالمة.. وفجأة يبدو التقبّب البطيء والكتوم لثدييّ المقلوبين باتجاه السماء، وهذا التثاقل، هذا الغثيان، هذا التعرّي، الانقباضات المنكمشة والممتدّة لهذا الجسد الأنثوي الذي راح يولد، للعذراء الصامتة، للنار الموقدة، للزهرة التي لم تتفتّح بعد" (ص 181.(

هنا تراهن الكاتبة لاحتواء لحظة بزوغ نادرة، ميتافيزيقية، مذهلة، معيشة، وبعيدة. لحظةَ؛ لا الوعي الخام بالجنس، ولا الرغبة الجنسية في أول ضرامها، وإنما (كمال المتعة الجنسية) كما تسمّيها، إذ تفاجئها على غفلة منها.. ولكن أين، ومتى؟ وهي طفلة رضيعة في عمر التسعة أشهر أو عشرة، في غرفة نوم أمها وأبيها.. وهي في عمر الرابعة والخامسة في دروب بلدتها (الكولونيالية) حيث عيون الرجال المتلصِّصة على جسم أمها المخفيّ تحت الحايك (لباس تقليدي جزائري)، أو في حمّام النساء تحت أنظار قريناتها الفضوليات.

"لم يعد الأمر يتعلق بمواجهة نظرات الرجال العرب، كما في حيّنا، بل هنا نظرات الأوروبيين الجالسين في شرفات حاناتهم المطلّة على الشارع الطويل المؤدي إلى المحطة، والذي تعبره هذه العربية المتميّزة جداً في كل يوم خميس بعد الظهيرة" (ص 69.(

وتفترض آسيا جبّار ماذا يجري في مخيال الأوروبي وهو يتمنى أن يتطاير الحايك ليرى ماذا ترتدي هذه المرأة من ملابس "وهكذا راح خيال كل ذكر فرنسي بالقرية يزداد اتقاداً" (ص 70.(

تعرِّفنا آسيا جبّار على عالم النساء الجزائريات الضاج بالثرثرة، والنميمة، والألفة، والمؤامرات الصغيرة، والفضول، والكبت، والأسرار، والأحلام، وذلك في أواسط القرن الماضي، في العهد الاستعماري.. عالم كثيف، موّار بالحياة، يقبع فيما وراء الجدران الصلدة، تحميه الأعراف والتقاليد والقيم السائدة، وتحوّله إلى محبس كبير.

"ربما دون وعي منّي بذلك، كنت أحسُّ، في هذه المدن العتيقة، كم كان هائلاً عدد أجساد النساء المكدّسة، هؤلاء النساء اللائي لم يكنّ يتُقن إلا للخارج، هذا الفضاء الذي كان محظوراً عليهن. وها أنا ذا (ولكنني أستبق) أترصد نهم هذه العذراوات اللواتي لم أفهم بعد انتظارهن ولا قلقهن ولا حقدهن.

أما الأصوات المتشابكة المتزايدة أو الناعسة بعض الشيء خلال القيلولات الطويلة في الصيف الخانق، فقد تدثّرت بها كقماط لذاكرة تبحث بشكل غامض عن مكان آخر أو مستقبل ما" (ص 26).

2-أحلام مستغانمي

1. التعريف بصاحب ذاكرة الجسد:

وُلِدت أحلام مستغانمي سنة 1953م في تونس؛ لأنَّ والدها كان مطلوبًا للسلطات الفرنسيّة في الجزائر، وعادت إلى بلادها الجزائر سنة 1962م وكان لوالدها دور كبير في تشكيل أو حكومة جزائرية بعد الاستقلال من الاحتلال الفرنسيّ، درست أحلام في ثانوية أم المؤمنين عائشة وتخرجت سنة 1971م، وتعلَّمت العربية بدلًا عن الفرنسية، لم تتوقفْ الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي عند نجاحِها الكبير الذي حقّقته في رواية ذاكرة الجسد بل تابعت قريحتها الإبداع، فكتبت وأمتعت القرَّاء، وأصبحت كتبها من أكثر الكتب مبيعًا في العالم العربي، وجدير بالذكر إن رواية ذاكرة الجسد هي الرواية الأولى من ثلاثية خاصة لأحلام مستغانمي، وفيما يأتي ذكر لأهم روايات مستغانمي: الثلاثية: ذاكرة الجسد عام 1993م، فوضى الحواس عام 1997م، عابر سرير عام 2003م. على مرفأ الأيام، عام 1972م. نسيانcom.، عام 2013م. الأسود يليق بك، عام 2012م. ديوان عليك اللهفة، عام 2014م. كتاب شهيًّا كالفراق، عام 2018م"[100].

2. ملخص رواية ذاكرة الجسد:

حملت رواية ذاكر الجسد[101] بين دفّتَيْها كثيرًا من الامتدادات والأخيلة التي من شأنها أن تحمل الكاتب بعيدًا وتطير به في عوالم سياسية وثقافية واجتماعية وتاريخية، هناك يعرف الكاتب قصة معاناة شعب كامل يمتد على مساحة كبيرة من الأرض، يحلم بالماء في صحراء تتقن فنَّ العطش. تتحدّث الرواية عن قصة شاب جزائري اسمه "خالد" وهو بطل من أبطال الجزائر القوميين، فقد شارك خالد في الثورة الجزائرية وخسر يده اليسرى في الحرب، ولكنَّه كان سعيدًا في بادئ الأمر لأنَّه ظنَّ أن يده بُترت في سبيل خلاص الوطن من المحتل، ولم يكن يعلم أنّ يدَ الاستعمار ما زالت تطال الوطن وتنخر عظامه بوحشية. وعندما أدرك خالد هذه الحقيقة القاسية، ترك البلاد وهاجر بجسد ينقص يدًا إلى فرنسا، وهناك اجتمع بمحبوبته التي هي ابنة قائده أثناء الحرب "سي الطاهر" وهي الفتاة التي استأمنه عليه صديقه قبل أن يموت، ومرَّت السنوات وكبرت الفتاة والتقى بها في معرضه الخاصّ للرسم في فرنسا، فقد كان رسَّامًا يرسم البلاد بيد واحدة، وبحلم كامل، وعندما رأى خالد ابنة صديقه القديم أعادته ملامحها إلى بلاده الأولى، إلى الجزائر التي يحب ويعشق، وكانت هذه الفتاة تصغره بخمسة وعشرين عامًا، وعلى الرغم من فارق العمر الكبير بينهما إلَّا أنَّ الفتاة بادلته القليل من هذه المشاعر التي كانت تجتاح قلبه، والتي كانت لا تعرف إن هي أحبته بالفعل أم هي رأت فيه ملامح الاب الحنون والأمان الذي تريد. وبعد أن أمضَيَا وقتًا طويلًا في باريس وعرَّفها هناك على صديق له اسمه زياد يقاتل في لبنان على الجبهات ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي، وبعد زمن قليل جاءته دعوة مفاجئة حطَّمت آماله في هذه الحياة، وهي دعوة من عمها "سي الشريف" لحضور زفافه، وها هي الفتاة التي كان اسمها "حياة" تكذّب كلَّ مشاعرها وتتزوج من أحد العسكريين الفاسدين الأثرياء، وتؤكِّد أنَّ القوة والمال إذا ساء استخدامها يصبحا السبب الرئيس في دمار الوطن. وهكذا فقد الرسام "خالد" أمله وأصبح

يعاني مرارة الغربة طوال الوقت، ويضمد جراحه التي قاسى مرارتها بعد ما حدث معه في حبه هذا، ولهذا قرر خالد أن كتب قصته مع هذه الفتاة رواية ليقتلها في داخله إلى الأبد.

جسَّدت رواية ذاكرة الجسد الكثيرَ من معاناة هذا الشابّ الجزائري الذي طعنته الحرب وطعنه الحب وكسره الوطن أيضًا، فاستطاعت أحلام من خلال هذه الشخصية أن تصل إلى قلوب الناس وتكسب شغف عيونهم، وكان من أجمل ما كتبت في روايتها هذه: "يقضي الإنسان سنواته الأولى في تعلُّم النُطق، وتقضي الأنظمة العربيّة بقيّة عمره في تعليمه الصمت". "ثروة الآخرين تُعدُّ بالأوراق النقدية، وثروته بعناوين الكتب، أنا رجل ثري كما ترين قرأت كل ما وقعت عليه يدي تمامًا كما نهبوا كلَّ ما وقعتْ عليهِ يدُهم". "نحمل الوطن أثاثًا لغربتنا، ننسى عندما يضعنا الوطن عند بابه، عندما يُغلق قلبه في وجهنا، دون أن يلقي نظرة على حقائبنا، دون أن يستوقفه دمعنا، ننسى أن نسأله من سيؤثثه بعدنا". "عزائي اليوم، أنَّك من بين كلِّ الخيباتِ، كنتِ خيبتي الأجمل". " الندم هو الخطأ الثاني الذي نقترفه". "هل الورقُ مطفأةٌ للذاكرة؟ نترك فوقَه كلَّ مرَّةٍ رمادَ سيجارةِ الحنين الأخيرة، وبقايا الخيبة الأخيرة". "الذين نحبُّهم لا نودِّعُهم، لأنَّنا في الحقيقةِ لا نفارقُهم، لقد خُلِقَ الوداع للغرباء، لا للأحبّة".

شخصيات الرواية:

الشخصيات الرئيسية في الرواية:

- (خالد) بطل رواية ذاكرة الجسد ممثلًا في الراوي، شخصية لديها القدرة على التنامي طوال أحداث الرواية وقد تبدلت وتطورت معه الأحداث علة مدار الرواية.
- (أحلام) متمثلة في الفتاة (حياة) صورة فوتوغرافية عن أحوال الوطن بكل تغيراته، حيث كشفت الكاتبة عم شخصيتها من خلال تصرفاتها وطريقة تفكيرها ومواقفها، هذا البوح بدا من خلال الحوار بين (زياد) الشاعر الفلسطيني أو الحوار مع (خالد).

الشخصيات الثانوية:

القائد (سي الطاهر) قائد ثورة الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي وقد استشهد قبل أن يرى ابنته (حياة).

(سي الشريف) عم (حياة) الرجل البرجوازي الانتهازي حيث يتم صفقة تزويج ابنة أخيه (حياة) من رجل أعمال مشبوه وموصوم بالفساد.

(حسان) شقيق (خالد) زكان موظفًا بسيطًا وكانت قمة أحلامه أن يحصل على زيادة في راتبه ليتمكن من القيام بالحج، أو ليشتري لزوجته ثلاجة.

(زياد) الشاعر الفلسطيني الذي يظهر بشكل ومضة في الرواية يمثل الشاعر الملتزم بقضايا بلده الذي تغتاله يد الإسرائيليين فيستشهد وينطوي معه السر الذي لم يبح به وهو حبه ل (حياة).

(كاترين) التي لم تستطع التأثير بأحد ولم ينظر لها (خالد) نظرة سعادة وأمل، فقد كانت بالنسبة ل (خالد) وسيلة لتمضية الوقت، وقد عمدت الكاتبة على تحجيم هذه الشخصية وقد رمزت من خلالها إلى أن باريس ورغم كل مفاتنها لم تستطع من إقناع (خالد) بأن يتقبل إيقاع حياته الجديدة فيها، فقد كان جسدًا في باريس ودماغًا في مدينته".

3. آراء حول الرواية

قال نزار قباني عن الرواية: " دوختني، وأنا نادراً ما أدوخ أمام رواية من الروايات، وسبب الدوخة ان النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق فهو مجنون ومتوتر واقتحامي ومتوحش وإنساني وشهواني وخارج على القانون مثلي. ولو ان أحداً طلب مني أن أوقع اسمي تحت هذه الرواية الاستثنائية المغتسلة بأمطار الشعر.. لما ترددت لحظة واحدة"[102].

المحاضرة الرابعة عشر
نجمة كاتب ياسين
الأجواد لعبد القادر علولة

1-كاتب ياسين

1. التعريف بصاحب الكتاب

ولد الشاعر و الأديب والمسرحي و الروائي في احد مقاطعات قسنطينة في 6 أوت 1333 درس في مدرسة سطيف ثم أوقف وسجن أثر المظاهرات الدامية في 3 ماي 1345 .بعد فترة قصيرة تردد أثناءها على المدرسة القرآنية بسدراتة ثم التحق بالمدرسة الفرنسية و زاول تعلمه حتى الثامن من شهر أيار 1343 .شارك بمظاهرات 3 ماي 1345 فسجن و عمره ال يتجاوز 16 سنة .وفي حياة الأديب مواقف هامة تشكل مراحل تكونية العقلي و ظروف حياته المعيشية، و المادية، تعلم القران و اللغة العربية ،غير انه انقطع عن ذلك، ليلتحق بالمدرسة الفرنسية التي درس بها حتى عامه الخامس عشر"[103].

يعتبر العام 1345 نقطة تحول في حياة ياسين، فقد عاش الاغتراب، وذاق طعم التشرد وعرفته المنافي والمعتقلات، دخل السجن وبقى فترة من الزمن، وراح يمارس الكتابة والإبداع وهو في السادس عشر من عمره، كتب أولى محاولاته الشعرية " مناجاة" اشتغل العديد من المهن، كان مناضلا في خلية "الأمير خالد" التابعة للجبهة الوطنية الديمقراطية الجزائرية [104].

سافر ياسين إلى فرنسا ، وفي نهاية 1354 قابل في باريس الكاتب الألماني الشهير " برتولد بريخت" الذي كان معجبا و متأثرا به هناك أصدر عمله المسرحي الأول، الجثة المطوقة، و جمعته هناك عالقات مع المثقفين و المناضلين الجزائريين في الغربة، و كان ياسين يشارك

في الحلقات االدبية و الفكرية الشهيرة نجمة Nedjma سنة 1356 ،و اعتبر بحق قصيدة حب و عشق دائم و ابدي لوطنه و شعبه المضطهد، و المسلوب الإرادة .عندما نشر كاتب ياسين نجمة فرضت نفسها فورا، كالأثر الأهم في أدب ما قبل الاستقلال 1363 (،(وفي نجمة لم يلتزم ياسين بالتسلسل الزمني، فكانت بمثابة رمز للجزائر المستقلة في أوائل السبعينات اتخذ ياسين قرار الاستقرار في الجزائر، وكرس جهوده للعمل والعطاء .أعماله : أعمال ياسين ملتزمة و واضحة المعنى، و مشحونة بالصور و الأفكار والمعاني وتتميز بحس شعبي صادق، ورؤية سليمة للواقع، كلها تحكي قصص التشرد، و لحظات المنفى و الهجرة و الغربة .و لكاتب ياسين العديد من الأعمال الأدبية الإبداعية في مجال الرواية و الشعر والمسرح، فمن أشهر أعماله :أوال الروائية – :رواية نجمة، سنة 1356– .المضلع النجمي، سنة 1366.

ثانيا المسرحية – :مسرحية الجثة المطوقة ، سنة) 1355 – (.مسرحية و النعل المطاطي ، سنة) 1370 (. ثالثا – الشعرية – : مسحوق الذكاء ، سنة) 1367 – (. دائرة االنتقام أو دائرة القصاص ، سنة 1353 .كل هذه الأعمال نشرت في دار لوسوي seuil le الفرنسية.

وفاته : توفي كاتب ياسين في 33 أكتوبر 1333 بمدينة غرو نوبل الفرنسية و دفن في الجزائر" [105].

2. ملخص

ملخص الرواية : رشيد ، و الأخضر ، مراد ، و مصطفى ... أصدقاء أربعة .. يعيشون في عنابة . شغلهم الحب الذي يحمله الأربعة المرأة واحدة هي .. نجمة ، زوجة كامل يحيط منشأ نجمة و أصلها سرد فين يكتشف لكل منهم تدريجيا عن طريق الآخرين . و عندما يكتشفون السر تبدو صاحبته اشد استعصاء عليهم لقد ألقيت و طفلة إلى رعاية أم بالتبني ،

هي " الال فاطمة " مع أنها في الحقيقة ابنة امرأة فرنسية ، اختطفها عشاق أربعة على التوالي ..كان من أبرزهم أبو رشيد ، و سي مختار . لقد بدأت حياتها في أحشاء أمها ذات ليلة قضاها هذان الرجلان معها في مغارة اقتاداها إليها معا . ثم عثر في صباح اليوم التالي على جثة أبي رشيد في المغارة ذاتها .. و يتابع رشيد سي مختار في حله و ترحاله . و لكنه لم يشأ أن يقتل الرجل الذي يظن انه قاتل أبيه .. ذلك ، الن رغبة ملحة كانت تلاحقه ليتعرف إلى حقيقة نجمة ، التي رآها سرا لأول مرة ، في احد المشافي بتدبير من سي مختار نفسه . ربما كانت نجمة أخته أو ابنة سي مختار على السواء .. من يدري ؟ و تنمو بين الرجلين خلال أيام أواصر صداقة أشبه ما تكون بعالقة ألب بابنه .

أضف إلى ذلك إن سي مختار ال يجهل انه أبو كامل . انه لم يستطع انه يحول دون زواجه من نجمة سفاح .. خوفا من افتضاح مأساتها ، و سر والدتها و يحج الرجلان إلى مكة .. و خلال الطريق يفشي سي مختار الدفين لرشيد . و يقرر الاثنان معا أن يختطفا نجمة من زوجها الذي هو أخوها لأبيها ، ويقودها إلى "الند حور " الجبل المنيع الذي يصعب الوصول إليه حيث تحيا بقايا قبيلتهم حياة ضنك بؤس . إنها البقية الباقية من ذرية " قبلوت " الجد الأسطوري و هكذا تعاد نجمة إلى مصيرها الأصلي والحقيقي .. أما رشيد فان مصيره لم يكن في ذلك الجبل . و يلتقي الرفاق الأربعة بعد صدمات و مصائب مختلفة ، ويلتحقون عمالا في الورشة . و لكن الأخضر يخاشن السيد ارنيست رئيس الورشة الذي أساء إليه منذ اليوم الأول و يوقف .. ثم لا يلبث أن يفر من الاعتقال . و يتزوج كهل قذر، هو السيد ريكارد ، سوزي ابنة السيد ارنيست ولكن مراد يقتله بعد قليل .. عندما رآه ينهال ضربا على الخادمة الجزائرية بدون رحمة ، يقتله ليلة زواج سوزي منه .ويوقف مراد بدوره . و يترك الرفاق الثالثة رشيد ، والخضر ، ومصطفى الورشة و القرية سرا . و يلتقي ، بعد فترة ، رشيد الذي أوقف لفراره من الجندية ، مع مراد في السجن . إن خيال نجمة لا يفارق الأصدقاء الأربعة في السجن . أنها تتراءى لهم دون انقطاع .. مراد في سجنه بعد الجريمة

التي ارتكبها .. و مصطفى في مذكراته التي انقطع لكتابتها . و رشيد في مسقط رأسه قسنطينة حيث انسحب إليها بقضي بقية أيامه.

3. أهم القضايا والموضوعات التي يعالجها الكاتب.

و من أهم هذه الأحداث ما يلي – : تبدأ الرواية بتمكن لخضر من الهروب من السجن ، و عودته إلى الورشة و بعد دخوله السجن بسبب شجار وقع بينه و بين السيد ارنست رئيس الورشة ليدور حوار مقتضبا بينه و بين أصدقائه مصطفى و رشيد و مراد ، مفاده انه سيقبض عليه من جديد و بعد هذه الحادثة ينقلنا الكاتب إلى أحداث أخرى مهمة نذكر منها – :أنه بعد ثالث سنوات من حادثة ضرب مراد للسيد ريكارد و قتله في ليلة زفافه مع ابنة السيد ارنيست ، وقتها كان رشيد في قسنطينة عاطلا عن العمل متشردا في شارع الهاوية حتى اعتدى عليه احد المارة فطعنه رشيد و هرب إلى محل امرأة و لكنها سلمته للشرطة و هنا عرف انه هارب من الخدمة الوطنية ، و الملاحظ أن الأصدقاء الأربعة لخضر ، رشيد ، مراد ، مصطفى يعملون كمجموعة واحدة ، بالرغم من أن كال منهم له شخصيته المتميزة الخاصة به ، و عندما يخطئ احدهم أو يرتكب جريمة يتحمل المسؤولية جميع الأربعة"[106] .

وعلى هذا النحو يعاقب الجميع بسبب اعتداء الأخضر على السيد ارنست و نفس الوضع نجده عندما قتل مراد السيد ريكارد ، حيث كان كل واحد منهم يقدم للشخص المذنب ما يستطيعه من عون ومساعدة"[107].

.و من بين الحوادث كذلك يذكر الكاتب حادثا مهما آال و هو – رغبة سي مختار في الحج ، لأداء فريضة الحج ، تثقله ذنوب ال حصر لها و اصطحابه معه رشيد رغم انه ال يملك جواز السفر، فدخل السفينة متسللا ، وبعد عدول "سي مختار" عن الذهاب قرارا آن يختطفا نجمة، وبعد اختطافها قصد بها جبل الناظور وهنا ظهر طرف أخر في الصراع وهو[108]رجل زنجي اختطف "نجمة"من رشيد بعدما قتل والدها سي مختار دون قصد وبعد

هذا ينقلنا كاتب ياسين إلى الحديث عن مذكرات مصطفى التي يتضح من خلالها أن مصطفى أقنع والده بإدخال الأخضر المدرسة ، وحدث ذلك فعال و شهدا معا حوادث 3 ماي 1345 وشاركا فيها و كانت النتيجة دخولهما السجن فعلا، وبعد خروجهما عاد مصطفى إلى قريته واخذ والدته وأختيه إلى لهم بقسنطينة"[109] ، وقصد هو عنابة و التقى الأخضر مرة أخرى .و ال يفوتنا من جهة أخرى ، الحضور الحقيقي للمؤلف في الرواية ممثلا في شخصية " الأخضر " فقد روي في نجمة تفاصيل كثيرة عن أطوار حياته المختلفة منذ النشأة الأولى إلى حياة الغربة والتشرد في أنحاء فرنسا مع مطلع عقد الخمسينات ، مرور بحياة الدراسة و مشاركته في مظاهرات 3 ماي 1345، و اعتقاله و طرده من الثانوية . و من هنا يتضح أن المؤلف قد اعتمد على تقديم أحداث حقيقية و وقائع تاريخية ، يتعلق به شخصيا و بأسرته و قبيلته و بجده الأكبر " كبلوت " وقد حاول الكاتب في أسطورة " الجد كبلوت " أن يعبر عن تشتت القبيلة التي تمثل الشعب الجزائري و ذلك حتى تحافظ على مقوماتها الشخصية عن طريق تقديسها لروح الجد " كبلوت " مؤسسها الأول ، و قد جاء على لسان سي مختار ما رواه لرشيد عن أصل قبيلتهما وهما على متن الباخرة التي حملت الحجيج إلى البقاع المقدسة إن الجد " كبلوت " جاء مع أفراد من قبيلته من الشرق الأوسط و عبر بهم البحر إلى اسبانيا ثم استقروا بالمغرب الأقصى و بعدها شدوا الرحال من جديد لينزلوا نهائيا بجبل " الناظور "الذي يشرف على المنطقة الشرقية من قالمة بالجزائر

4. أراء نقدية حول الكتاب

و تنبع أهمية الرواية من كونها تجسم بالحجم الطبيعي لرحلة العذاب التي خاضها كاتبها "ياسين"، ووطنه جميعا، إنما تجسد شكلا ومضمونا كافة مراحل التطور ومختلف أشكال التناقضات و اتجاهات الصراع و نتائجه التي انتهت إليها الرحلة الدامية ، أنها حققت درجة عالية من الوحدة الدينامية في العمل الفني حتى أصبح من الصعب تصنيفها إلى شكل

ومضمون ، كما أنها حققت درجة عالية من روح الخلق حتى أصبح من العسير تصنيفها إلى خيال و واقع ، حيث تعرضت الرواية إلى حالة البطالة و الفقر المدقع الذي يعيشه الجزائريون في المدن و السلب و النهب و الاستغلال و المهانة التي يتعرض لها العاملون في ورش المعمرين، هذا ما يجعلهم يحسون بالظلم و يدفع بعضهم إلى التمرد و ربما إلى ارتكاب جرائم القتل"[110].

ومع العلم إن رواية " نجمة " لم تنشر في الجزائر ، و إنما نشرت في فرنسا في دور نشر معينة و معروفة حيث وجدت تعاطفا معها من قبل مثقفي اليسار الفرنسي خاصة و المثقفين المتنورين بوجه عام، وجدت رواجا لدى جمهور القراء الفرنسيين، و ما أكدته هذه الرواية أنه لم يعد هناك ما يدعو إلى أية مهادنة الاستعمار أو أية مصالحة معه ، خاصة بعد مظاهرات 3 ماي 1345 إلا أساس انفصال الجزائر عن فرنسا و استقلالها عنها استقلالا تاما"[111] .

2. الأجواد لعبد القادر علولة

1. التعريف بالكاتب:

ولد عبد القادر علولة في الثامن يوليو مدينة غزوات، وتابع دراسته الابتدائية في المدينة الصغيرة عين البرد غرب وبران، ثم واصل دراسته الثانوية في مدينة سيدي بمعباس وبعد ذلك بوهران، ثم توقف عن الدراسة في عام 1956 وبدأ يمارس المسرح كهاو مع فرقة الشباب بوهران دائما في إطار هذه الفرقة وحتى سنة 1960 شارك في عدة دورات تكوينية ومثل في مسرحية " خضر اليدين التي كتبها محمد كرشاي " وفي عام 1962 أخرج في إطار فرقة المجموعة المسرحية الوهرانية مسرحية الأسرى للمؤلف الرماني بلوت وبعد ذلك وظف علولة كممثل بعدإنشاء المسرح الوطني الجزائري" [112].

أنتج علولة عروضا مسرحية بروح ديمقراطية مع الممثلين ومع مصممي العرض فيو يترك لممثليه حرية الإبداع والتصور وفق رؤيته للنص ديكتاتورية المخرج. وذلك لبلوغ غايته في الخطاب المسرحي الذي عمل لأجله، فالعرض المسرحي عنده مركب بوضوح وفق أسلوب واقعي مرتبط بجدلية دون إمال المتعة والمذة"[113] .

والمسرحي »علولة مثل عدة أدوار في كثير من المسرحيات نذكر منيا ما يلي

أولاد القصبة لعبد الحليم رايس ومصطفى كاتب1963.

حسن طيرو «لرويشد ومصطفى كاتب 1963

الحياة حلم لمصطفى كاتب 1963 .

دون جوان اقتباس اخراج مصطفى كاتب1963

بالإضافة إلى هذا فقد ألف أيضا عدة مسرحيات وكان مخرجا ونذكر بعضا منها :

العنف 1969، الخبزة 1970، حمق سليم مقتبسة عن يوميات أحمق لجوجول 1972، حمام ربي 1970، حوت يأكل حوت 1975 ألفا مع بن محمد، القوال 1980، الأجواد 1985، اللثام 1989" [114] .

2. خصائص مسرحية الأجواد:

· تتميز مسرحية الأجواد بميزة رئيسية هي استقلال مشاهدها عن بعضها البعض، فكل مشهد قائم بذاته وله دلالته الخاصة به، وله علاقة خفية بالفكرة الرئيسية التي أرادها عبد القادر علولة وهي الكشف عن الطبقات الكادحة.

· شخصية القوال تعمل على إصلاح المجتمع، فهو يدعو إلى التغيير، انطلاقا من تكريس الاتحاد والتضامن والعمل.

· تتميز الشخصيات الرئيسية في مسرحية الأجواد بالبساطة والحيوية والنشاط، فهي تتحرك بحرية تامة لتتفاعل مع واقعيا المزري، محاولة تغيير هذه الأوضاع عن طريق جودا

الكبير. تمثل الشخصيات الثانوية التي وظفها علولة ألم الوطن، فتتفاعل في جملتها لتسمع صرخات معاناتها للأذان التي طال صممها أملا في صناعة الغد الجديد.

· مواقف علولة نابعة من أصالة الجزائري، في حبو للعمل والوفاء ورفض االاستغلال والتدمير، إذ أنها مواقف يمكن لكل جزائري التحلي بها بغية تحقيق التطور والنمو الاقتصادي .يلعب المكان الشعبي دورا هاما في مسرحية الأجواد، (المدرسة، البلدية، المستشفى) هي من المرافق العمومية والإجتماعية لا يمكن الإستغناء عنها.

3. ملخص مسرحية الأجواد:

جاءت المسرحيّة في ثالث مشاهد دراميّة تتخللها أغنيات شعبية لتزيد التأثير في المتلقي فكل مشهد مستقل بذاته من حيث الموضوع. في حين يرتبط الكل بالعنوان الأجوادفإنه يعني " الكرماء، فهي النّقطة المركزيّة التى بنيت عليها المسرحيّة، فهذه ألخيرة عبارة عن لوحة فنيّة رسمت فيها الحياة اليوميّة للطبقة الكادحة، وللنّاس البسطاء في المجتمع. فهؤلاء المهّمشون يتّصفون بالإنسانية، الجود، الكرم، العطاء، حب الوطن، والإيمان بالعدالة الاجتماعية.

تعرض المسرحيّة في المشهد أو المقطع الأول معاناة العّمال الجزائريّين، فنجد علال الزبال يكنس الأوساخ من الشوارع، ويؤدي عمله هذا بإخلاص وإتقان، فمن وخلال عمله كان يفضح عمليّة الاحتكار التي قام بها التّجار، ويطالب بخفض الأسعار حتّى يتم كل الفقير من شرائها. فقد كان يدعم أصحاب القطاع العام ويعارض أصحاب القطاع الخاص. أما الشخصية الثانيّة في هذا المشهد تتمثل في(الربوحي لحبيب) الذي يعمل حدّاد في ورشة من ورشات البلديّة. فكرمه ومكانته الاجتماعية جعلته يخدم المصالح العامة للمجتمع، ذلك من خلال محاولته إنقاص حيوانات الحديقة العامة للحي، وهذا بعدما حاول إقناع مسؤولي البلديّة بالاهتمام بهم لكن المحاولة أبدت بالفشل. فهتان الشخصيتان أظهرت وأبرزت القيّم الأخلاقيّة للمجتمع الجزائري، رغم أنّها شخصيات محقورة لكنّها إيجابية تجسد المثال الحي في التّضحية والتّضامن.

أّ ما في المشهد الثاني فإن علولة جسدّ العنوان بشكل كبير فقد صّور القيمة الحقيقيّة للكرم والجود من خلال تبرع العكلي بهيكله العظمي للثانوية. ويبرز ذلك في الصداقة الحميميّة التي تربط بين العاملين البسيطين في الثانوية حيث أوصى العكلي صديقه منور بالحرص على تحقيق أمنيته ورغبته وبالفعل قام المنور بما أوصاه، فكان الحارس الضليل لبقايا المرحوم. فهذا المشهد يشخص قيمتي التّضحية والصداقة في أروع صورهما .

وتقدّم المسرحية في المشهد الأخير صور الخير والصفاء، فقد جسد علولة هذه الصور في ثالث شخصيات: (منصور، جلول الفهايمي، سكينة) فكان البدء بشخصية منصور العامل في ذي يؤدي عمله بكل جدّ واخلاص وتفان ومحبة لعمله، وحين أخذ التّقاعد حزن حزنا ا شديدا على هذا. لأنه احس بأنّهم حكموا عليه بالفراق بينه وبين آلته، هنا يظهر الخير والوفاء فهو يحافظ على آلات المصنع وعلى املاك الدولة وكأنّها ملكه. ويوصي بضرورة الحفاظ عليها. ثم

يشخص هذا المشهد معاناة جلول الانسان المعروف لدى الجميع بذكاءه وحكمته وكرهه وإيمانه بالعدالة الاجتماعية، كان عاملا في المستشفى فرأى ما لا يتحمله قلبه من فساد ومحسوبية وسرقة وعدم المبالاة والاهتمام من قبل الأطباء والعمال وهذا يتعارض مع ما كان يسعى اليه ولدرجة حبه لوطنه أصبح انسان عصبي تتغلب عليه الّنرفزة جراء الضغوطات التي كانت تتصارع في داخله . هذا ما أدى به إلى تلقيه لعقوبات مهنية من قبل مسؤوليه. وفي الاخير تعرض المسرحية معاناة سكينة العاملة في مصنع اّلحذية التي اصيبت بشلل، فتخلت عن عملها وسط حزن شديد ألم بزملائها لأنّها كانت ضحية الإهمال وقساوة ظروف العمل. فقد سميت بجوهرة المصنع لسيرتها وسلوكها الحسنة مع الجميع .

وفي الختام نقول المسرحي عبد القادر علولة استمدّ موضوع مسرحيته من التّراث، والتزم في مضمونها بقضايا المجتمع الجزائري، فالمسرحية مثلت قيم الخير والعطاء والكرم من طرف

أناس بسطاء فاستطاع تقديم صورة فنيّة صادقة عن الواقع الجزائري، فكانت مسرحية الأجواد النموذج الأعلى، الذي تفطن به الشعب لأحواله وأوضاعه في شتى جوانبه.

خاتمة :

إن الأدب الجزائري أدب مفتوح على ثقافات متعددة وامتداد للأدب العربي من الناحية الشكلية والفنية ومما ينقله من قضايا خاصة المشترك فيها من قيم دينية وقومية عربية والشعور بالانتماء .

عرف الأدب الجزائري محطات عديدة جعلته يزدهر في جوانب عديد وخاصة ارتباطه بالمقاومة فهو فعل الرد بالكتابة أو أدب المقاومة والدعوة الى التحرر كما يمكن أن نسميه من جانب أخر أدب الشعب لأنه استطاع في فترة زمنية غير قصيرة أن ينقل هموم ومعاناة الشعب الجزائري ولم يقتصر فقط على الكتابة المحلية بل تعدى الى ملامسة الواقع العربي ككل والدفاع عن الوعي القومي .

يمتاز الأدب الجزائري بغزارة الانتاج فهو ينافس بعض الآداب إذا نظرنا الى البدايات الأولى ومنذ ظهور خصوصيته ضمن دائرة الأدب العربي، حيث نجد الآلاف من الأعمال الأدبية بعد الاستقلال والتي ترقى إلى مستوى العالمية وخاصة في مجال الكتابة الروائية.

ساهم الأدب الجزائري في التعبير عن صوت الشعب الجزائري، ومنه اكتساب الهوية الجزائرية وتحقيق الذات العربية الإسلامية، فأصبح الأدب عبارة عن نسق ثقافي يعكس الصورة الكلية للجزائر من حيث الانتماء والامتداد الحضاري.

الهوامش :

1 – حنداين محمد: (مدخل لكتابة تاريخ الأدب الأمازيغي)، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الأمازيغي، ط / 1992 ص: 47

2 – نفسه، ص: 74

3 – انظر كتاب : مدخل إلى الأدب – ، ترجمة مصطفى ماهر، ط 1958، لجنة البيان العربي، ص: 50

4 – المرجع السابق، ص: 50

5 – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 1983، ص: 202

6 – لحمداني حميد: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1/1985، ص: 301

7 – محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، ط 1989، ص: 78

8 – محمد حنداين: المقال المرجع السابق، ص: 47

9 – انظر: (ماذا قال علي خشيم عن أبوليوس؟)، مجلة توالت **tawalt** الرقمية، ليبيا، نقل المقال بدوره عن مجلة جيل الليبية

10 – عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، الجزء الأول، ط 2، مكتبة المعارف، الرباط ص: 29

11 – شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1969 ص:251

12 – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص: 203 الهامش.

13 – واسيني الأعرج: (أحلام بقرة: العجائبية/ التأويل/ التناص)، آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، العدد 1، 1990م، ص:64

14 – حمداني حميد: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1985/1، ص: 31

15 – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 1983، ص: 203

16 – شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1969 ص: 252

17 – محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، ط 1989، ص:78–79

18 – عز الدين المناصرة: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، مطبعة الشروق، عمان، الأردن، ط 1، 1999م، ص: 86

19 – حنداين محمد: (مدخل لكتابة تاريخ الأدب الأمازيغي)، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الأمازيغي، ط / 1992 ص: 47

20 – انظر: (ماذا قال علي خشيم عن أبوليوس؟)، مجلة توالت tawalt الرقمية، ليبيا، نقل المقال بدوره عن مجلة جيل الليبية

21 – محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص36.

22 – بكر بن حماد التاهرتي الدر الوقاد، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1966، ص87.

23 – عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم: دراسة في الجذور، دار هومه للنشر والتوزيع ، ط4 ، 2016ص71

24 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ،ج1 ، ط2، 1965 ، ص242.

25 – الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، محمد بن رمضان شاوش. المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط 1، 1966، ص87-88

26 – علي فكري، الخلفاء الراشدون ، أحسن القصص مكتبة رحاب، الجزائر، ج3 ، ص 190

27 – فواز محمد الشعار: الموسوعة الثقافية العامة: الأدب العربي، منشورات دار الجيل، بيروت، لبنان، 2010م، ص:154.

28 – عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم– دراسة في الجذور–، ، ص:65.

29 – https://www.aldiwan.net/cat-poet-Abdelkader-El-Djezairi

30 – https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=1139157

31 – ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق : العربي دحو، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000، ص 37.

32 – شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، تقديم : مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط1، 1992، ص 171 172.

33 – ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، ص 37.

34 – ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق وشرح : إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991، ص 71.

35 – ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، ص 40.

36 – ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، ص 60.

37 – ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، ص 120.

38 – ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت (لبنان)، (د ط)، (د ت)، ص 328.

39 – ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، ص 156.

40 – حياة الأمير عبد القادر، شارل هنري تشرشل، ترجمة: د. أبو القاسم سعد الله.– ص.7 (مقدمة المترجم).

41 – تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، محمد بن الأمير عبد القادر، تحقيق وتعليق:محمود حقي .بيروت1964 .

42 – حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: د.أبو القاسم سعد الله.– ص.9 (مقدمة المترجم).

43 – حياة الأمير عبد القادر، شارل هنري تشرشل، ترجمة: د.أبو القاسم سعد الله.– ص.36

44 – المرجع نفسه، ص 14

45 – قافولي) P. Gavaulet تعليق حول مكتبة ومتحف الجزائر) في (المجلة الإفريقية)، 1894، ص 248.

46 – تم تحقيق هذه الرواية، وطبعت مرتين، آخرها سنة 1982.

47 – أبو القاسم سعد الله، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي اللغة والنثر الأدبي الروايات والقصص والمسرحيات الجزء الثامن، الفصل الأول ، ص130.

48 – عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983ص 119

49 – لطيف زيتون: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون ودار النهار للنشر، بيروت، سنة 2002 ص 125.

50 – عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، ص127

51 – رابح طبجون الدكتور عبد الله ركيبي وتجربته في نقد الحكاية الشعبية الجزائرية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن إبراهيم مصطفى" نموذجا قراءة في مدارات الممارسة والتنظير، مجلة العلوم الانسانية ، عدد 41 جوان 2014 المجلد ب، ص. 487ص494 .

52 – محمد بن ابراهيم https://www.startimes.com/?t=20297273

53 – https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=23650

54 – مقدمة الطبعة الأولى لـ «مولود قاسم نايت بلقاسم» للشاعر مفدي زكريا: «إلياذة الجزائر»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص٩.

55 – مفدي زكريا، «أمجادنا تتكلم»، جمع وتحقيق مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكريا والوكالة الوطنية للإشهار، الجزائر، 2003م، ص3.

56 – غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار الكتب، القاهرة، 1980م، ص143.

57 – الجابري، النشاط العلمي ... يقول الجابري إن القصيدة منشورة في مجلة الندوة التونسية.

58 – القصيدة في الديوان، وفي صلاح مؤيد، الثورة في الأدب الجزائري، مرجع سابق، وقد خصها عبد الملك مرتاض بفصل من كتابه، أدب المقاومة في الحركة الوطنية، 2004، انظر أيضا محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص 666.

59 – جريدة البصائر 355، 24 فبراير 1956.

60 – محمد البشير الإبراهيمي، من تقديم ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر ، ص 07.

61 – القصيدة مثبتة في الديوان بالصفحة 135، وهي قصيدة قوية مطلعها:

استوح شعرك من حنايا الأضلع واستجل في القسمات حسن المطلع

62 – أبو القاسم سعد الله، محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، دار المعارف، ط2، 1968، ص 41.

63 – ابراهيم لقان، ملامح مقاومة الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، رسالة ماجيستير، جامعة منتوري، 2007، ص 45.

64 – شكري فيصل نقلا عن ابراهيم لقان، ص 47.

65 – https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/3/1/ البشير الابراهيمي

66 – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1997م.

67 – أحمد رضا حوحو https://www.marefa.org

68 – أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى ،المؤسسة الوطنية للكتاب .ط2، ، 1988الجزائر.

69 – أحمد رضا حوحو/https://www.marefa.org

70 – عبد الحميد بن هدوقة، https://www.marefa.org

71 – https://www.eldjoumhouria.dz/art.php?Art=90251

72 – عبد الحميد بن هدوقة: الجازية والدراويش. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1983 .الجزائر ص 185.

73 – المصدر نفسه. ص 186

74 – المصدر نفسه. ص 217.

75 – المصدر نفسه. ص .91

76 – جيلالي خلاص: عبد الحميد بن هدوقة. (انظر إلى مقالة عمر أوهادي). كتاب ملتقى ثالث ع. بن هدوقة. ص 53.

77 – عبد الحميد بن هدوقة. الجازية والدراويش. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1983 .ص 121.

78 – الشهداء عندما يعودون» للطاهر وطار.. قصة الوجع – صحيفة الرأي، http://alrai.com/article/781405.html

79 – رشيد بوجدرة: معركة الزقاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

80 – الحبيب السائح: معركة الزقاق،... فعل التتويه، مجلة المساءلة– العدد الأول– ربيع 1991، ص32.

81 – المقصود بيت الشاعر كعب بن زهير: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول... والذي تول إلى بالت سعاد فقلبي اليوم مبلول.. انظر ص42

82 –المرجع نفسه.42

83 – رشيد بوجدرة: معركة الزقاق،...ص83

84 – رشيد بوجدرة http://www.benhedouga.com/content/

85 – https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/12/22/ محمد ديب

86 – https://ouledberriche.ahlamontada.net/t201-topic

87 – الواقعي والمتخيل في رواية الأمير لواسيني الأعرج .أ جميلة روباش /http://dspace.univ-msila.dz

88 – https://albaleegh.com/poet

89 – سعيد موفقي في حوار مع الشاعر سليمان جوادي، المدونة الإلكترونية لسليمان جوادي، نشر بتاريخ 14-09 -

90 – djouadi.maktoob blog.com 2009 سليمان جوادي، قال سليمان، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ،2012 ، ص 3.

91 – المرجع نفسه، ص 7

92 – http:// djouadi.maktoob blog.com الإلكترونية جوادي سليمان مدونة- -

93 – http://mohamedrabeea.net/library/pdf/94bb4923-a1b6-42e0-9cd5-cbc70d791ea7.pdf

94 – http://dspace.univ-msila.dz:8080/xmlui/bitstream/handle/123456789/11598/2016-155.pdf?sequence=1&isAllowed=y ص 74

95 – .https://www.radioalgerie.dz/culture/ar

96 – https://www.kataranovels.com/novelist/

97 – الشاعر عز الدين ميهوبي .. (الجزائر من دمعي ودمكم) – صحيفة الرأي. http://alrai.com/article/452834.html

98 – https://www.almrsal.com/post/532409

99 – https://raseef22.net/article/ بوابة الذكريات

100 – أحلام مستغانمي/https://sotor.com :

101 – أحلام مستغانمي ذاكرة الجسد ، منشورات أحلام مستغانمي ،ط2001،7.

102 – http://adab3alami.blogspot.com/2014/01/blog-post_14.html

103 – كامل سلمان الجبوري : معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 3003 ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ج 5 ، 3003 ، ص 304

104 – أحمد منور : الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته و تطوره و قضاياه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر)د ط(، 2007 . ص 887
http://bib.univoeb.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/4091/1/.pdf

105

106 – الرواية ص 06.

107 – الرواية ص 83

108 – الرواية ، ص 115.

109 – الرواية ص 383.

110 – أحمد منور : الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته و تطوره و قضاياه ص107.

111 – المرجع نفسه : ص 103

112 – عبد القادر علولة، من مسرحيات علولة، مسرحية الأجواد، موفم للنشر الجزائر 1997، ص9.

113 – المسرح العربي، مسيرة تتجدد، فهرسة مكتبة الكويت الوطنية،ط1 ،2012 ،ص188

114 – عبد القادر علولة، من مسرحيات علولة، مسرحية الأجواد، ص 06.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. قائمة المصادر:

- أحلام مستغانمي ذاكرة الجسد،، منشورات أحلام مستغانمي ،ط2001،7.
- أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى المؤسسة الوطنية للكتاب .ط2، ، 1988الجزائر
- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1997م.
- بكر بن حماد التاهرتي الدر الوقاد، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1966.
- الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، محمد بن رمضان شاوش. المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط 1، 1966.
- ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق : العربي دحو، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000.
- رشيد بوجدرة: معركة الزقاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- عبد الحميد بن هدوقة: الجازية والدراويش. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1983 .الجزائر.
- عبد القادر علولة، من مسرحيات علولة، مسرحية الأجواد، موفم للنشر الجزائر 1997.

- محمد البشير الابراهيمي البصائر 355، 24 فبراير 1956.
- محمد البشير الإبراهيمي، من تقديم ديوان محمد العيد آل خليفة..
- مفدي زكريا، «أمجادنا تتكلم»، جمع وتحقيق مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكريا والوكالة الوطنية للإشهار، الجزائر، 2003م.
- مقدمة الطبعة الأولى لـ «مولود قاسم نايت بلقاسم» للشاعر مفدي زكريا: «إلياذة الجزائر»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

2.قائمة المراجع

الكتب:

– ابراهيم لقان، ملامح مقاومة الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، رسالة ماجيستير، جامعة منتوري، 2007.

– سليمان جوادي، قال سليمان، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ،2012

– أبو القاسم سعد الله، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي اللغة والنثر الأدبي الروايات والقصص والمسرحيات الجزء الثامن، الفصل الأول .

– أبو القاسم سعد الله، محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1968.

– أحمد منور : الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته و تطوره و قضاياه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر)د ط(، 2007 .

– تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، محمد بن الأمير عبد القادر، تحقيق وتعليق:ممد (...) تم تحقيق هذه الرواية، وطبعت مرتين، آخرها سنة 1982.

– جيلالي خلاص: عبد الحميد بن هدوقة. (انظر إلى مقالة عمر أوهادي). كتاب ملتقى ثالث ع. بن هدوقة.

– حمداني حميد: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1985/1.

– حنداين محمد: (مدخل لكتابة تاريخ الأدب الأمازيغي)، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الأمازيغي، ط / 1992.

– رابح طبجون الدكتور عبد الله ركيبي وتجربته في نقد الحكاية الشعبية الجزائرية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن

– سعيد موفقي في حوار مع الشاعر سليمان جوادي، المدونة الإلكترونية لسليمان جوادي، نشر بتاريخ 14–09 –

– الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، شركة دار الأمة، الطبعة الأولى–وزارة الثقافة والسّياحة– الجزائر 1985م. والطبعة الثانية–دار الأمة، الجزائر 2007م.

– عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، الجزء الأول، ط 2، مكتبة المعارف، الرباط.

– عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ،ج1 ، ط2، 1965.

– عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث.المؤسسة الوطنية للكتاب ،1983.

– عبد الملك مرتاض بفصل من كتابه، أدب المقاومة في الحركة الوطنية، 2004.

– عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم– دراسة في الجذور–، منشورات دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

– عز الدين المناصرة: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، مطبعة الشروق، عمان، الأردن، ط 1، 1999م.

– علي فكري، الخلفاء الراشدون ، أحسن القصص مكتبة رحاب، الجزائر، ج3.

– علي محمد الصَّلاَّبي: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ج3، دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1438هـ – 2017م.

– غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار الكتب، القاهرة، 1980م.

– لحمداني حميد: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1/1985.

– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، ط 1989.

- محمد عمارة: الشيخ البشير الإبراهيمي، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2001م.

- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 1983.

- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث.اتجاهته وخصائصه الفنية :1925-1975،دار الغرب الاسلامي بيروت ،ط2006،2.

- مدخل إلى الأدب ، ترجمة مصطفى ماهر، ط 1958، لجنة البيان العربي، ص: 50

- المسرح العربي، مسيرة تتجدد، فهرسة مكتبة الكويت الوطنية،ط1 ،2012.

- الملتقى الدولي للإمام محمّد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، الجزائر قصر الثقافة في 13 و14 ربيع الثاني 1426 هـ، الموافق 22 و23 مايو 2005م

الكتب المترجمة

- شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1969.

- شارل هنري تشرشل حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: د. أبو القاسم سعد الله..(مقدمة المترجم)

المعاجم والموسوعات:

- فواز محمد الشعار: الموسوعة الثقافية العامة: الأدب العربي، منشورات دار الجيل، بيروت، لبنان، 2010م.
- كامل سلمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 3003، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ج 5 ، 3003 .
- لطيف زيتون: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون ودار النهار للنشر، بيروت، سنة 2002.

الدواوين

- ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت (لبنان)، (د ط)، (د ت).
- ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق وشرح : إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط1، 1991.
- شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، تقديم : مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط1، 1992.

المجلات :

- إبراهيم مصطفى" نموذجا قراءة في مدارات الممارسة والتنظير، مجلة العلوم الانسانية ، عدد 41 جوان 2014 المجلد ب.
- الحبيب السائح: معركة الزقاق،... فعل التتويه، مجلة المساءلة- العدد الأول- ربيع 1991.

- قافولي P. Gavaulet تعليق حول مكتبة ومتحف الجزائر في (المجلة الإفريقية)، 1894.
- ماذا قال علي خشيم عن أبوليوس؟ ، مجلة توالت tawalt الرقمية، ليبيا، نقل المقال بدوره عن مجلة جيل الليبية
- واسيني الأعرج: (أحلام بقرة: العجائبية/ التأويل/ التناص)، آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، العدد 1، 1990م.

المواقع الالكترونية

- http:// djouadi.maktoob blog.com الإلكترونية جوادي سليمان مدونة
- http://adab3alami.blogspot.com/2014/01/blog-post_14.html
- http://alrai.com/article/452834.html
- http://bib.univ-oeb.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/4091/1/.pdf
- http://dspace.univ-msila.dz:8080/xmlui/bitstream/handle/123456789/11598/2016-155.pdf?sequence=1&isAllowed=y

- http://mohamedrabeea.net/library/pdf/94bb4923-a1b6-42e0-9cd5-cbc70d791ea7.pdf
- https://albaleegh.com/poet/
- https://ouledberriche.ahlamontada.net/t201-topic
- https://raseef22.net/article/ بوابة الذكريات
- https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=236503
- https://www.aldiwan.net/cat-poet-Abdelkader-El-Djezairi
- https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/3/1/ البشير الابراهيمي
- https://www.almrsal.com/post/532409
- https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=1139157
- https://www.eldjoumhouria.dz/art.php?Art=90251
- https://www.kataranovels.com/novelist/
- .https://www.radioalgerie.dz/culture/ar
- أحلام مستغانمي/https://sotor.com :

- الواقعي والمتخيل في رواية الأمير لواسيني الأعرج .أ جميلة روباش /http://dspace.univ-msila.dz
- محمد بن ابراهيم https://www.startimes.com/?t=20297273
- عبد الحميد بن هدوقة، https://www.marefa.org
- رشيد بوجدرة http://www.benhedouga.com/content/
- الشاعر عز الدين ميهوبي .. (الجزائر من دمعي ودمكم) - صحيفة الرأي
- الشهداء عندما يعودون» للطاهر وطار.. قصة الوجع - صحيفة الرأي، http://alrai.com/article/781405.html

الفهرس –

- مقدمة .....أ
- المحاضرة الأولى: الأدب الجزائري القديم: الحمار الذهبي.....05
- المحاضرة الثانية: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد.....10
- المحاضرة الثالثة: ديوان الأمير عبد القادر.....20.
- المحاضرة الرابعة: حكاية العشاق في الحب والاشتياق.....26
- المحاضرة الخامسة: إلياذة الجزائر مفدي زكرياء.....30.
- المحاضرة السادسة: ديوان محمد العيد آل خليفة.....38
- المحاضرة السابعة: عيون البصائر البشير الابراهيمي..... 45
- المحاضرة الثامنة: غادة أم القرى أحمد رضا حوحو.....51
- المحاضرة التاسعة: عبد الحميد بن هدوقة / الطاهر وطار.....57
- المحاضرة العاشرة: معركة الزقاق رشيد بوجدرة/ الثلاثية محمد ديب....69
- المحاضرة الحادية عشر: الأمير واسيني الأعرج.....79
- المحاضرة الثانية عشر: سليمان جوادي عثمان لوصيف عز الدين ميهوبي ..90
- المحاضرة الثالثة عشر: اسيا جبار، أحلام مستغانمي.....100

- المحاضرة الرابعة عشر: نجمة كاتب ياسين، الأجواد لعبد القادر علولة.. 110
- الخاتمة..... ... 119.
- قائمة المصادروالمراجع..... 128
- الفهرس..... 137.....